الفضائل الأخلاقية بين دعوات الأنبياء والفلسفات الدينية القديمة

إعداد الدكتورة

أرزاق فتحي السيد أبو طه

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

القاهرة - جامعة الأزهر

الفضائل الأخلاقية بين دعوات الأنبياء والفلسفات الدينية القديمة

أرزاق فتحي السيد أبو طه

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الإليكتروني: Arzakfathie@azhar.Edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى التأكيد على ثبات القيم والفضائل الأخلاقية، وبيان أن الفضائل الأخلاقية من الثوابت التي أرستها الرسالات السماوية، أيضًا هدف البحث إلى لفت أنظار أصحاب الأديان الوضعية الذين لا يؤمنون بالرسالات السماوية إلى أنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وأن ما يؤمنون به الآن ويعتقدونه قد يكون شذرات من رسالة لنبي أرسله الله – تعالى – لأمتهم منذ زمن بعيد، فيجعلهم البحث يعيدون النظر فيما يعتقدون ويرتبون أفكارهم من جديد، وقد اتُبع في هذا البحث عدة مناهج اقتضته طبيعة موضوعه، منها المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء الفضائل الأخلاقية في الفلسفات الدينية القديمة واستقراء آيات الذكر الحكيم للاستدلال على ما يتوصل إليه البحث من نتائج تؤكد ما هدف اليه، ومنها المنهج المقارن وذلك من خلال المقارنة بين الفضائل الأخلاقية بين هذه الفلسفات، وأيضًا استخدم المنهج التحليلي وذلك من خلال تحليل النصوص وإبراز التأثير والتأثر، هذا وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها: فطرية المعرفة بالفضائل الأخلاقية، وفطرية المعرفة بأن الخير هو الحق الذي يجب اتباعه وأنه ما يرضي الله – تعالى– وأن الشر ما يجب اجتنابه؛ لأنه لا يرضيه– تعالى –، ومنها ثبات الفضائل الأخلاقية وأنها لا تتغير وأن المتغير هو السلوك

الإنساني، ومنها ارتباط الفضائل الأخلاقية بالدين، فقد جاء في كثير من آيات الذكر الحكيم اقتران الإيمان والتقوى بالأعمال الصالحة والبر والخير، أيضًا من النتائج التي توصل إليه البحث، وجود اتفاق بين الفلسفات الدينية القديمة في الفضائل الأخلاقية، فضلًا عن ارتباطها بالتدين مما يؤكد وحدة مصدرها الذي قد يكون أثرًا سماويًا من أديان سابقة مرت عليها، إيمانًا بقوله تعالى: ﴿.. **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ٢٤**﴾ [فاطر: ٢٤].

الكلمات المفتاحية: الأنبياء، دعوة، الفضائل، الأخلاق، الفلسفات الدينية، القديمة.

Moral Virtues Between the Calls of the Prophets and Ancient Religious Philosophies

Arzak Fathi El-Sayed Abu Taha.

Department of Creed and Philosophy، Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students، Cairo، Al-Azhar University، Egypt

Email: Arzakfathie@azhar. edu. eg

Abstract:

The research aims to emphasize that moral values and virtues are constants advocated by all the Prophets، peace be upon them. It also seeks to draw the attention of adherents of the non-revealed religions to the fact that there has never been a nation without a warner. What they believe in and hold now may be fragments of a message from a Prophet sent by Allah - the Almighty - to their nation long ago. In this research، several methodologies have been followed، including the inductive method by examining the moral virtues in ancient religious philosophies and the verses of the Holy Qur'an. Additionally، the comparative method has been used by comparing the moral virtues among these philosophies. The analytical method has also been employed by analyzing texts and highlighting the influence and interrelationship. The research has concluded several findings، including: the innate knowledge of moral virtues; the innate understanding that good is the truth which must be followed because it pleases Allah Almighty، and that evil must be avoided because it does not please Him; moral virtues are constant and do not change، whereas human behavior

changes; all ancient religious philosophies agree on moral virtues and their connection to religiosity، which suggests a unified source that may be divine from earlier religions: "there was no nation but that there had passed within it a warner" (Qur'an، 35: 24).

Keywords: Prophets – Dawah (Call) – virtues – Morals – Religious philosophy - Ancient

المقدمة:

بسم الله الواحد الخلاق، الذي أرسل أنبياءه ورسله بالهدى وأمرهم بالدعوة إلى توحيده وإرساء فضائل الأخلاق، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي بعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق.

وبعد،

فكل ما كان فطريًا هو ثابت وغيرُه متغير، وقد أرسل الله تعالى أنبياءه ورسله بما هو ثابت وبما هو متغير، وجعل ما هو ثابت فطريًا ولم يجعله متغيرًا، ولما كان وجوده تعالى وتوحيده بأنه هو الإله الواحد الأحد المستحق للعبادة ثابتا جعله فطريًا قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَومَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وكان دور الأنبياء في هذا الأمر هو إيقاظ الفطرة مما يكون قد علق بها أو طمسها بسبب اتباع الشيطان أو تقليد الآباء أو البيئة أو غير ذلك وكذلك التأكيد على ما غرس في الفطرة من معنى الوحدانية لله تعالى وأنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده وأن ما سواه وهم وضلال، أيضًا أرسل الله – تعالى– أنبياءه عليهم السلام – بما هو متغير قال – تعالى –: ﴿**وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ مُصَدِّقا لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ ٱلكِتَٰبِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِۖ فَٱحكُم بَينَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلحَقِّۚ لِكُلّ جَعَلنَا مِنكُمْ شِرْعَة وَمِنهَاجاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّة وَٰحِدَة وَلَٰكِن لِّيَبلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَاكُمْۖ فَٱستَبِقُواْ ٱلخَيرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَختَلِفُونَ ٤٨**﴾ [المائدة: ٤٨]، فكان لكل نبي شريعة تناسب الزمان والمكان، باستثناء الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان، فكمل بها الدين، قال تعالى: ﴿**.. ٱليَومَ أَكمَلتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسلَٰمَ دِينا**ۚ

فَمَنِ ٱضطُرَّ فِي مَخمَصَةٍ غَيرَ مُتَجَانِف لِّإِثم فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيم﴾ [المائدة: ٣]، وذلك؛ لأنه – تعالى– أعلم بمن خلق، قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤]، هذا ولم يكن التوحيد فقط هو ما غرسه الله – تعالى– في الفطرة الإنسانية، فقد غرس الله – تعالى– في النفس الإنسانية معرفة الخير وأنه الحق وما تطمئن إليه ومعرفة الشر وأنه الباطل، فالإنسان الذي يتبع هذه المعرفة الإلهامية ويسير على نهجها فلح وجبر ومن عمل ضدها واتبع الهوى خاب وخسر؛ ولهذا زود الله – تعالى– الإنسان بالإرادة ومنحه القدرة على الاختيار والفعل، فمع ميل الطبيعة الإنسانية للخير والعمل به؛ لأنه جبل على أنه الحق إلا أنه يجد قوى الشر ونوازعه تتجاذبه، ويظل الإنسان في صراع بين هذا وذاك حتى تغلب إحداها الأخرى حسب ميل الإنسان وإرادته قال– تعالى –: ﴿**وَنَفس وَمَا سَوَّاهَا٧ فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا٨ قَد أَفلَحَ مَن زَكَّاهَا٩ وَقَد خَابَ مَن دَسَّاهَا ١٠**﴾ [الشمس: ٧–١٠]، ولهذا تنوعت النفس الإنسانية بين الأمارة بالسوء، وهي التي استسلمت لإغواء الشيطان أو لبيئة فاسدة، واللوامة وهي التي تتجاذبها قوى الشر، لكن يبقى فيها بعض الميل للخير الذي فطرها الله على معرفته أنه الحق، ولهذا تلوم صاحبها على فعل الشر وتقصيره في عمل الخير وهي ما أطلق عليه علماء الأخلاق بالضمير الذي لا يكون قوة ملزمة إلا إذا استجاب لما فُطر عليه بأن الخير هو الحق، أو لتعاليم الأنبياء – عليهم السلام – والمصلحين، والمطمئنة وهي التي عرفت سبيل الخير والعمل به واتخذته طريقًا لها؛ ولهذا كان الإنسان في حاجة دائمة لمن يرشده ويشجعه على عمل كل ما هو خير؛ لأن هذا ما يريده الله من عباده وهو أن يكونوا طائعين يعملون الخير، ولهذا لم تقتصر دعوة الأنبياء على إرشاد الخلق لعبادة إله واحد فقط، وإنما كان التذكير دائمًا بالخير والعمل الصالح؛ لأن ذلك ما يرضي الله – عز وجل –، ولما كان دور الأنبياء– عليهم السلام– هو الدعوة

للعقيدة الحقة، وجاء هذا الأمر واضحًا في آيات الذكر الحكيم، ورأينا انعكاسًا وصدى لدعوات الأنبياء- عليهم السلام - هذه لدى الأمم المختلفة من دعوات لتوحيد الإله وإن لم يكن بمفهوم التوحيد الخالص، فكما نعلم أن دعوات الأنبياء - عليهم السلام - السابقين على محمد ﷺ ورسالاتهم لم تكن الخالدة الباقية، فكانت كل دعوة أو رسالة تُنسخ بما تليها، ومن ثم فلم تبقى لدى من أُرسل اليهم كما هي بل بقى منها شذرات، البعض منها حق، والبعض ليس كذلك، أيضًا ينطبق هذا الأمر على الفضائل والقيم الأخلاقية التي حرص الأنبياء - عليهم السلام - على إرساء أصولها في نفوس أقوامهم، وظهر ذلك واضحًا من الاتفاق الذي ظهر بين الأمم والفلسفات القديمة من الحث على كل فضيلة ونبذ كل رذيلة وارتباط هذا الأمر بشدة التدين والرغبة في إرضاء الإله والفوز بالسعادة في الحياة الأبدية، ومن هنا جاءت فكرة البحث لنرى كم أن هذا الأثر الأخلاقي كان واضحًا في فلسفات الأمم الماضية على ما سيتضح أثناء البحث إن شاء الله.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات تحدثت عن الأخلاق في الديانات القديمة مثل كتاب: الفلسفة الشرقية للدكتور محمد غلاب، تحدث فيه عن الفكر الديني في الشرق القديم، وتحدث عن الأخلاق في هذه الفلسفات ضمن حديثه عنها، لكنه لم يتطرق إلى كون الفضائل الأخلاقية التي وجدت في هذه الديانات قد تكون شذرات لدعوات الأنبياء - عليهم السلام - الذين مروا على هذه الأمم، وهو الأمر الذي ركز عليه البحث، أيضًا من الكتب التي تحدثت عن الفكر الأخلاقي في الأديان القديمة، كتاب: الفكر الأخلاقي في ضوء الإسلام للأستاذ الدكتور نجاح الغنيمي، الذي تحدث فيه عن الأخلاق في الأديان الوضعية من وجهة نظر نقدية ليبرز قيمة الأخلاق الإسلامية، بوصفها الأخلاق المستمدة من الدين الإلهي الخاتم، ولكنه لم يتحدث عن الجانب الذي ركز عليه البحث؛ ولهذا فلم أجد فيما اطلعت

عليه دراسة تحت هذا العنوان: "الفضائل الأخلاقية بين دعوات الأنبيـــاء والفلســفات الدينية القديمة" ، هدفت لما هدف إليه البحث، واتبعت نفس منهجية الدراسة.

الهدف من البحث:

١- التأكيد على ثبات القيم والفضائل الأخلاقية.

٢- التأكيد على أن الفضائل الأخلاقية هي التعاليم التي دعا إليها الأنبياء جميعا.

٣- إبراز دور الأنبياء – عليهم السلام – عبر الأمم في إرساء قواعد الأخلاق.

٤- الرد على من ينكرون الدين وبيان أن الحضارات الصحيحة، هي التي قامت على التدين، فقد كان الدين في الحضارات القديمة الدعامة الأساسية التي قامت عليها؛ وذلك لما اشتمل عليه من عبادة ونسك وفضائل وقيم أخلاقية عليا.

٥- لفت أنظار أصحاب الأديان الوضعية الذين لا يؤمنون بالرسالات السماوية إلى أنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وأن الكثير مما يؤمنون به الآن ويعتقدوه ربما يكون شذرات من رسالة لنبي أرسله الله – تعالى– لأمتهم منذ زمن بعيد، فيجعلهم **البحث يعيدون النظر فيما يعتقدون ويرتبون أفكارهم من جديد.**

الأسئلة التي أجاب عنها البحث:

١– هل التعاليم الأخلاقية متفق عليها بين الأمم؟

٢– هل توجد أدلة على أن الفضائل الأخلاقية تقوم على أسس من التعاليم السماوية؟

٣– هل كان هناك أثر لدعوة الأنبياء لأممهم – الفلسفات القديمة – فيما يتعلق بالأخلاق؟

المنهج المتبع في البحث:

اتبع في هذا البحث عدة مناهج قد اقتضته طبيعة موضوعه، منهـــا المـــنهج الاستقرائي، وذلك من خلال استقراء الفضائل الأخلاقية في الفلســـفات القديمـــة واستقراء آيات الذكر الحكيم للاستدلال على ما يتوصل إليه البحث مـــن نتـــائج

تؤكد ما هدف اليه، ومنها المنهج المقارن وذلك من خلال المقارنة بين الفضائل الأخلاقية بين هذه الفلسفات، وأيضًا استخدم المنهج التحليلي وذلك من خلال تحليل النصوص وإبراز التأثير والتأثر، وحرصًا على عدم الإطالة اقتصر البحث على الحديث عن أشهر الفلسفات الدينية القديمة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ذكر فيها أسباب اختيار الموضوع والمنهج المتبع فيه، والأسئلة التي أجاب عنها، وتمهيد ذكر فيه التعريف بمصطلحات عنوان البحث، وتسعة مباحث وخاتمة، فكان على النحو التالي:

المبحث الأول بعنوان: فطرية الفضائل الأخلاقية.

المبحث الثاني بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة المصرية القديمة.

المبحث الثالث بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة البابلية القديمة.

المبحث الرابع بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الهندية القديمة.

المبحث الخامس بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الفارسية القديمة.

المبحث السادس بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الصينية القديمة.

المبحث السابع بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة اليونانية القديمة.

المبحث الثامن بعنوان: أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

المبحث التاسع بعنوان: الفضائل الأخلاقية مما اتفقت عليه دعوات الأنبياء وانعكس على أخلاق الأمم.

الخاتمة: وذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويليها ثبت المصادروالمراجع وفهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف الفضيلة لغة: اسم مشتق من الفضل، "والفضل والفضيلة معروف: ضد النقص والنقيصة والجمع فضول.، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل" (١).

تعريف الفضيلة اصطلاحا: قام العديد من الفلاسفة والمفكرين بتعريف معنى الفضيلة، ويمكننا تلمس معنى الفضيلة عند "سقراط" من خلال محاورته مع "مينيون"(٢) حيث نجده يقول: "إن الفضيلة بالنسبة لنا هي الخير بالذات" (٣)، وعرف "أفلاطون" الفضيلة بأنها وحي إلهي، فقد قال في تعريفها: "إن الفضيلة لا تتحقق لا في الطبيعة ولا عن طريق التعلم، ولكن بمساهمة واشتراك روحي إلهي" (٤)، والفضيلة عند أرسطو هي استعداد النفس لعمل الخير، فنجده يقول: "الفضيلة لا تتكون إلا بواسطة العادة – الطبع لا يهيب لنا إلا استعدادات، ونحن نحيلها إلى ملكات محددة معينة بالاستعمال الذي استعملها فيه" (٥)، وبالمعنى

---

(١) ابن منظور: " جمال الدين أبو الفضل، المتوفى عام ٧١١هـ ": لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ج ١٠، ص ٢٨٠، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ، بيروت – لبنان، ط ٣ عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٢) هو نبيل من النبلاء ، وكان ينزل أثينا عند أنيتوس الذي كان أحد الساسة المرموقين في تلك المدينة تلقى تعليمه من جورجياس السفسطائي الشهير مما جعله على دراية بحجج السفسطائيين، وكان محبًا للمعرفة، التقى بسقراط مرات عديدة، راجع: أفلاطون في الفضيلة " محاورة مينون "، ترجمة وتقديم د. عزت قرني، ص ١١: ١٢ بتصرف، دارقباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ٢٠٠١م.

(٣)أنجلو شيكوني، ود. منير سغبيني: أفلاطون والفضيلة ، ص ١٨، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط الأولى عام ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥) أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد، ص ٢٢٥، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م.

بنفسه عرفها "لوبون" [١] بأنها: "الاستعداد النفسي إلى عمل الخير واجتناب الشر، أي مراعاة قواعد الأخلاق، وتعرف الرذيلة بما هو عكس ذلك" [٢] ، والفضيلة هي الخير الأسمى في الفلسفة الرواقية [٣]، وتبعهم في ذلك "سينكا" [٤]، وعرفها ابن مسكويه أثناء حديثه عن النفس، فنجده يقول: "أما شوقها إلى أفعالها الخاصة بها أعني العلوم والمعارف مع هربها من أفعال الجسم الخاصة به فهو فضيلتها وبحسب طلب الإنسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها فضله"[٥] ، نلاحظ من

(١) لوبون " جوستاف لوبون ": " عالم نفس واجتماع فرنسي. كان متعصبًا للعنصرية، معروفًا بنزعته المضادة للديمقراطية. ألف عدة كتب في علم النفس الاجتماعي، منها " روح الجماعات "، و" السنن النفسية لتطور الأمم "، و" فلسفة التاريخ ". اشتهر بكتابة " الحشد " أو " دراسة العقل الجمعي"....، وكان من كُتاب الغرب الذين أنصفوا الحضارة العربية، وأشادوا بفضلها على الحضارة الأوروبية عندما نقلت تراث اليونان، وعندما وضعت تراثها الخاص في كتاب " حضارة العرب " انظر: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ص ١٥٦٩ بتصرف يسير، ط: الشعب، القاهرة – مصر عام ١٩٦٥م

(٢) جوستاف لوبون: حياة الحقائق، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ص ٨١، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط الأولى عام ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

(٣) عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان، ص ١٤٢ بتصرف، دار الوفاء للطباعة والنشر دون تاريخ.

(٤) سينكا: هو لوقيوس أنايوس، فيلسوف لاتيني، ولد في قرطبة في مطلع القرن الأول الميلادي من أسرة كانت تجل العمل الفكري، قدم في شبابه إلى روما ليتعاطى الدروس الفلسفية، ترك مجموعة من المحاورات منها: محاورات الكتاب السابع، ومحاورة في إثبات الحكيم، ومحاورة في طمأنينة النفس، ومحاورة في الحياة السعيدة، راجع: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص ٣٧٠: ٣٧٢ بتصرف، دار الطليعة، بيروت – لبنان عام ٢٠٠٦م.

(٥) ابن مسكويه " أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، المتوفى عام ١٠٣٠هـ": تهذيب الأخلاق، ص ٩ بتصرف، مطبعة والدة عباس باشا، القاعرة عام ١٣٢٣هـ– ١٩٠٥م.

التعريفات السابقة الاتفاق على أن الفضيلة تعني الخير سواء قصد بها الخير بالذات أو الاستعداد لعمل كل ما هو خير، وأن خيرية الإنسان وفضله يكون حسب استعداده وعمله لفعل كل ما هو خير وفاضل.

تعريف الخُلق لغة: "الخُلُق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية" (١)، ويعرف الخُلُق في معجم ألفاظ القرآن الكريم بأنه: "السجية والطبع وما يجري عليه المرء من عادة لازمة" (٢).

تعريف الخُلق اصطلاحا: عرفه ابن مسكويه بأنه "حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية" (٣)، وعرف الإمام الغزالي الخلق بقوله: "فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئًا" (٤)، وعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة سميت الهيئة خلقًا حسنًا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا" (٥).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ١٢٤٥.

(٢) مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج ١، ص ٣٦١، لجنة التراث.

(٣) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص ٢٥.

(٤) الإمام الغزالي " أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المتوفى عام ٥٠٥هـ": إحياء علوم الدين، ضبط نصه وخرج أحاديثه: د. محمد محمد تامر، ج ٣، ص ٧١- ٧٢، دار الآفاق العربية، ط الأولى عام ٢٠٠٤م.

(٥) الجرجاني " علي بن محمد الحسيني الشريف، المتوفى عام ٧٦٦هـ ": التعريفات، ص ١٠٦، مكتبة لبنان – بيروت – لبنان عام ١٩٨٥م.

وبهذا، فمن التعريفات السابقة لكل من الفضيلة والخلق، فمن الممكن استنباط مفهوم مصطلح الفضائل الأخلاقية بأنها: هي كل ما حمل معنى الخير من تقوى وعدل وأمانة وتواضع وحلم وغيرها من المعاني السامية التي تضمن لمن حرص عليها السعادة الدنيوية والفوز بالجزاء الأوفى في الآخرة، ويمكننا تلمس ذلك من خلال آيات الذكر الحكيم التي تحدثت عن هذه الفضائل التي دعا الله عباده إليها وأوحى إلى أنبيائه العمل بها ودعوة أقوامهم إليها، فكثيرًا ما نرى دعوة القرآن الكريم على لسان الأنبياء –عليهم السلام – بالبر والتقوى وعمل الصالحات على ما سيتضح من خلال هذا البحث إن شاء الله.

تعريف الدعوة لغةً وعرفًا: دعوة من دعا والجمع دعاة، والدعوة منها الدعاة، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبيﷺ داعي الله – تعالى–، وكذلك المؤذن، وفي التهذيب: المؤذن داعي الله والنبي صلى الله تعالى عليه داعي الأمة إلى توحيد الله تعالى وطاعته، قال – عز وجل – مخبرًا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿**وَإِذ صَرَفنَآ إِلَيكَ نَفَرا مِّنَ ٱلجِنِّ يَستَمِعُونَ ٱلقُرءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَومِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَومَنَآ إِنَّا سَمِعنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقا لِّمَا بَينَ يَدَيهِ يَهدِيٓ إِلَى ٱلحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّستَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَومَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِركُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١**﴾ [الأحقاف: ٢٩–٣١] (١).

تعريف النبي في اللغة: النبي من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع من الأرض لارتفاع قدره؛ ولأنه شرِّف على سائر الخلق، فأصله بغير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل النبي اشتق من النبأ وهو الخبر وتركت الهمزة لكثرة الاستعمال؛ وذلك؛ لأنه يخبر عن الله تعالى ما أراده (٢).

---

(١)الجرجاني: التعريفات، ص ١٠٦.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٩– ٣١ بتصرف.

تعريف النبي في الاصطلاح: "النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول، وقد يخص بمن خص بشريعة وكتاب" (١)، وقيل في تعريف النبي: "في العرف فهو عند أهل الحق من قال له الله – تعالى – أرسلتك إلى قوم كذا وإلى الناس جميعًا أو بلغهم عني ونحوه من الألفاظ المفيدة لهذا المعنى كبعثتك ونبئهم"(٢).

تعريف الرسول في اللغة: "الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر" ، "والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة، والرسول في اللغة هو الذي يتابع أخبار الذي أرسله"(٣).

تعريف الرسول في الاصطلاح: "الرسول من اختص بشريعة وكتاب فيكون أخص من النبي" (٤)، وعرفه الجرجاني بقوله: "إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام" (٥).

النبوة فضل من الله تعالى: النبوة رحمة وموهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده يقول الله تعالى: ﴿.. **ٱللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُۥ..** ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ ولهذا لا يشترط في الإرسال شرط من الأعراض والأحوال المكتسبة

---

(١) سعد الدين التفتازاني: (الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله، المتوفى عام ٧٩٣هـ): شرح المقاصد، تأليف: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ومعه حاشيتا السالكوتي والحلبي على شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي وموسى شرف، ج ٥، ص ٥، ط عالم الكتب، دون تاريخ.

(٢) الإيجي: (القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفي عام ٧٥٦هـ): شرح المواقف، ج ٨، ص ٥ ط، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٢١١– ٢١٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط ٣ عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٤) سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، ج ٥، ص٦.

(٥) المصدر السابق، الجزء نفسه الصفحة نفسها.

بالرياضيات والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات "[١]؛ ولهذا" فالبعثة لتضمنها مصالح لا تحصى لطف من الله تعالى، ورحمة يختص بها من يشاء من عباده من غير وجوب عليه تعالى "[٢].

الدعوة إلى الأخلاق مطلب وغاية لإرسال الرسل:

ذكر العلماء أن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ضمن الغايات والمصالح التي أرسل من أجلها الرسل، يقول سعد الدين التفتازاني أثناء حديثه عن الهدف من بعثة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – بعد ذكره عدد من هذه المصالح:" ...، ومنها تعليمهم الأخلاق الفاضلة "[٣].

تعريف الفلسفة لغة:" لفظ فلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا – صوفيا)، ومعناه محبة الحكمة. ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح، وقد كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم "[٤]، وذلك؛ لأن ما من أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات إلا كان بها جماعة من المفكرين الذين شغفوا بالبحث في الكون ومحاولة معرفة أصل العالم والبحث في الطبيعة وما ورائها، وفي الأمة الإغريقية أطلق هؤلاء المفكرون على أنفسهم حكماء فيما حكاه" شيشرون "[٥]، فقد أكد أن فلاسفة الإغريق الذين سبقوا" فيثاغورس "كانوا

---

(١) سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، ج ٥، ص٦، بتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق، الجزء نفسه الصفحة نفسها، بتصرف يسير.

(٣) المصدر السابق، الجزء نفسه الصفحة نفسها.

(٤) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٦٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان عام ١٩٨٢م.

(٥) شيشرون: كاتب وخطيب، وفيلسوف لاتيني ولد عام ١٠٦ ق.م في " أربينوم"، وتوفي في عام ٤٣ ق. م، كان سليل أسرة مثقفة وميسورة، كان له تصورات سياسية ولكن لم تكن مثل تصورات أفلاطون وأرسطو، راجع: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص ٤٠٩ بتصرف، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط الأولى عام ١٩٨٧م.

يلقبون أنفسهم بالحكماء، حتى جاء هذا الفيلسوف فوجد اللقب فضفاضا على من أطلق عليهم، فأعلن أن الحكمة لله وحده، وأن الأليق والأنسب أن يكون اللقب محب الحكمة وليس حكيمًا، ومن هنا جاءت كلمة فلسفة[١]، فقد قال ما نصه:" لست حكيمًا، فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوف، أي محب للحكمة"[٢].

تعريف الفلسفة اصطلاحا: مصطلح الفلسفة من المصطلحات التي اختلف مفهومها حسب كل عصر من العصور وهذا الأمر يرجع لمرونة هذا المصطلح وذلك؛ لأن الفلسفة تعني المعرفة وهي ليست أي معرفة وإنما هي المعرفة الكلية الدقيقة لحقائق الأشياء أيًا كانت هذه الأشياء دينية أم حياتية، سماوية كانت أم أرضية، فنجد فيها البحث في الطبيعة بكل ما فيها والبحث فيما وراء الطبيعة وهو ما يطلق عليه بالفلسفة الدينية أو الإلهية؛ ولهذا فهي تستحق وبحق أن يطلق عليها أم العلوم؛ ولهذا فلما تعددت الموضوعات التي تبحثها الفلسفة تعددت الرؤى ووجهات النظر ومن ثم تعددت تعريفاتها، ومن التعريفات القديمة للفلسفة، نجد تعريف أرسطو لها حيث نجده يقول:" أنها العلم بالأسباب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود "[٣]، ومن الفلاسفة المسلمين نجد تعريف" الكندي "، فقد عرفها بأنها:" علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان؛ لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، وفي عمله العمل بالحق "[٤]، وعرفها" الفارابي "بأنها:" العلم

(١) محمد يوسف موسى: مباحث في الفلسفة، ص ٣٥ بتصرف، مؤسسة هنداوي، سي آي سي عام ٢٠١٧م.

(٢) د. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص ٤٦٨، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع عام ٢٠٠٧م.

(٣) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٦٠.

(٤) الكندي: " أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، توفى عام ٢٥٩هـ " الرسائل الفلسفية، ج١ ص ٢٥، ط دار العرب، ط الثانية دون تاريخ.

بالموجودات من حيث هي موجودة "[١]، وعرفها" الشيخ الرئيس "– ابن سينا– بأنها:" هي صناعة النظر، يستفيد منها الإنسان في تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما الواجب عليه عمله مما ينبغي أن يكتسب فعله؛ لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالمًا معقولًا مضاهيًا للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى في الآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية "[٢]، وعرفها ابن رشد بأنها:" النظر في الوجود بما هو موجود "[٣]، ومن الفلاسفة المحدثين، نجد تعريف" ديكارت "، فقد عرفها تعريفًا يوضح اشتمالها على جميع المعارف والفنون، فيقول في تعريفها:" إن الفلسفة أشبه شيء بالشجرة، جذورها علم ما بعد الطبيعة، وجذعها علم الطبيعة، وأغصانها العلوم الأخرى كالطب، وعلم الميكانيكا، وعلم الأخلاق "[٤].

المقصود بالفلسفات الدينية القديمة:

من المعروف أن الفلسفة هي الفكر بوجه عام، فقد يكون الفكر متعلق بالطبيعة وهو ما يسمى بالفلسفة الطبيعية، وقد يكون الفكر يتعلق بالدين أو المعتقد وفي هذا الحال يسمى بالفلسفة الدينية، وبهذا فالفلسفة الدينية قسم من أقسام الفلسفة،" فقد كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم، وهي

(١) الفارابي " أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ الفارابي، توفى عام ٣٣٩هـ ": الجمع بين رأي الحكيمين، ص٨٠، ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان عام ١٩٦٠م.

(٢) ابن سينا "أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، توفى عام ٤٢٨هـ": رسائل الكندي الفلسفية – رسالة في أقسام العلوم العقلية–، ص ١٠٤– ١٠٥، ، ود. محمد غلاب: المعرفة لدى مفكري المسلمين، ص ٢٣٨، ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٦م.

(٣) ابن رشد "القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، توفى ٥٩٥هـ": تفسير ما بعد الطبيعة، ج ١، ص ١٠، ط بيروت عام ١٩٣٨م.

(٤) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٦٠.

قسمان: نظري وعملي، أما النظري فينقسم إلى العلم الإلهي، وهو العلم الأعلى، والعلم الرياضي وهو العلم الأوسط، والعلم الطبيعي، وهو العلم الأسفل، وأما العملي فينقسم إلى ثلاثة أقسام أيضا، أولها سياسة الرجل نفسه، ويسمى بعلم الأخلاق، والثاني سياسة الرجل أهله، ويسمى بتدبير المنزل، والثالث سياسة المدينة والأمة والملك "[١].

(١) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ١٦٠.

المبحث الأول

فطرية الفضائل الأخلاقية

معنى الفطرة لغة:" الفطرة: الابتداء والاختراع، وفي التنزيل العزيز: **﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ جَاعِلِ ٱلمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلا أُوْلِيٓ أَجنِحَة مَّثنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلخَلقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٖ قَدِير١﴾** [فاطر: ١] "(١).

الفطرة اصطلاحا:" هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين "(٢).

المقصود بفطرية الفضائل الأخلاقية:

المقصود بفطرية الفضائل هُنا هو العلم والمعرفة بها، أي أن الله تعالى خلق الإنسان وأعلمه وهداه لكل ما هو خير، وجعل نفسه تطمئن إليه، وذلك؛ لأن هذا ما أراده الله من بني الإنسان ليتحقق معنى الخلافة وإعمار الأرض قال – تعالى –: **﴿.. هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرضِ وَٱستَعمَرَكُمۡ فِيهَا..﴾** [هود: ٦١]، فالخلافة لا تتحقق إلا بالأعمال الصالحة والتقوى وعدم الإفساد في الأرض القائم على ما هو ضد الفضائل من شرور وآثام، فالله تعالى خلق النفس الإنسانية وأعلمها بما هو خير يجب العمل به وبما هو شر يجب تركه قال – تعالى–: **﴿وَنَفس وَمَا سَوَّىٰهَا٧ فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَىٰهَا٨﴾** [الشمس: ٧–٨] والإلهام هنا هو الإعلام من الله – تعالى –، ولعل هذا ما قصده دكتور" محمد غلاب "بقوله:" لا شك أن جميع الأمم البشرية من أحطها إلى أوفرها حظًا في المدنية تعرف الفضائل والرذائل الجوهرية وتميز الخير من الشر تمييزًا صريحًا لا يشوبه غموض ولا إبهام؛ لأن كل هذه الأمم مؤلفة من أفراد يشتمل كل واحد فيها على هذا الصوت

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٨٦.

(٢) الجرجاني: التعريفات، ص ١٧٥.

الإلهي الذي ينادي عاليًا بالتفرقة بين الفضيلة والرذيلة "[١]، فالله – تعالى – أعلم الإنسان بالخير الذي يجب فعله، والشر الذي يجب تركه، ومنح الإنسان من الأدوات ما يعينه على ذلك فمنحه الإرادة والقدرة على الفعل، ومنّ عليه بما يُذكره بما يجب فعله دائمًا وما يجب تركه وهم الأنبياء – عليهم السلام –؛ وذلك إيقاظًا وتذكيرًا بما رسخ في نفسه منذ خلقته بالخير الذي يجب فعله لإرضاء ربه – عز وجل – وأن الخير هو ما كان في طاعة الله – تعالى –، قال تعالى: ﴿**وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠**﴾ [البلد: ١٠] فالهداية هنا هي الدلالة [٢]، وهي ما قام به الأنبياء والرسل – عليهم السلام – على مر العصور، فقد جاء في تفسير هذه الآية:" وهديناه الطريقين..، واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: "عني بذلك: نجد الخير، ونجد الشر" [٣]، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "....عن عبد الله – هو ابن مسعود –" هديناه النجدين "قال: الخير والشر" [٤]، فكان الإنسان في حاجة دائمًا بمن يُذكره ويُشجعه على الميل لجانب الخير والابتعاد

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة النظرية، المطبعة المصرية الأهلية، القاهرة، ص ٩.

(٢) الهداية من هدى وهو من أسماء الله – تعالى – سبحانه الهادي، قال ابن الأثير: هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بروبوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لابد منه في بقائه ودوام وجوده...، والهدي ضد الضلال وهو الرشاد، والدلالة أنثى... وهداه الله الطريق وإلى الطريق... ويقال: هديت له الطريق، وعليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ٢٦﴾ [السجدة: ٢٦]، ﴿**وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠**﴾ [البلد: ١٠]، راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ٥٨، ٥٩ بتصرف.

(٣) الطبري: " أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، المتوفى عام ٣١٠ هـ": جامع البيان في تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ود عصام فارس الحرستاني، ج ٧، ص ٥٢٣، مؤسسة الرسالة دون تاريخ.

(٤) ابن كثير: " أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى عام ٧٧٤هـ " ص١٩٩٧، دار ابن حزم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

عن الشر الذي يكون له من نوازع ورغبات قد تلحق الضرر بالإنسان وتؤدي به إلى معصية الله – تعالى –؛ ولذلك لما اقتضت إرادة الله تعالى تركيب الإنسان من جسم وروح ولما كانت متطلبات الجسم نوازع وشهوات قد تدفع الإنسان إلى الضرر، قننها الله – تعالى – وفق ضوابط شرعية معينة في كل رسالة سماوية لتتحقق العدالة والوسطية بين الحرمان والإطلاق، وجعل الأجر والمثوبة لمن أطاع الله ورسوله وتحقق معنى التقوى في سلوكه وأعماله ولذلك لما ركب الله – تعالى – في الإنسان الشهوة أعطاه من الاستطاعة ما يعينه على ضبطها إذا أراد؛ ولذلك يجب على الإنسان أن يجتهد في الحرص على الخيرات والبعد عن الشرور، وفي هذا الشأن نجد قول ابن مسكويه: "فإذا الواجب الذي لا مرية فيه، أن نحرص على الخيرات التي هي كمالنا والتي من أجلها خلقنا ونجتهد في الوصول إلى الانتهاء إليها ونتجنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها" (١)، ومن هذا المنطلق يجب التنبيه على أمر هنا وهو أن الخلاف الحاصل بين بعض علماء الأخلاق في قابلية الأخلاق للتغيير أم لا، كان المقصود به على الأرجح الحديث عن السلوك الفردي وليس مطلق الفضائل الذي يتم الحديث عنها من خلال هذا البحث فمعرفة مطلق الخير والشر مركوز في الفطرة الإنسانية كما مر، فمن قال أن الأخلاق قابلة للتغيير كان مقصده جواز الميل إلى أحد الجانبين – جانب الخير وجانب الشر– بالإرشاد والتوجيه والمران والتدريب، وبهذا فالعمل الناتج عن الميل تجاه جانب الشر، والرذائل سهل على الإنسان تحويل اتجاهه وميله الى الجيد والخير والتخلي عن السيء والشر ولهذا فما وجدناه عند بعض علماء الأخلاق من اختلاف حول فطرية الأخلاق وعدمها في الحقيقة كان مقصد أغلبهم عن السلوك الفردي وليس الفضائل في المطلق ولهذا

(١) ابن مسكويه " أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه المتوفى عام ٤٢١هـ": تهذيب الأخلاق، ص ١٢.

كانت النتيجة أن البعض أنكر فطريتها وذلك؛ لأنه رأى في هذه الحالة أن لو كان الإنسان مولودًا وهو مفطور على سلوك معين كالكذب أو البخل علـــى ســـبيل المثال كان يستحيل عليه تغيره الى ضده وهكذا [١].

(١) للاستزادة من هذا الموضوع راجع: الإمام الغزالي: إحياء علوم الـــدين، ج ٣، ص ٧٥- ٨٤، ود. عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقـــي، ص ١٥٧ وما بعدها، ومحمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، ص ٤٧- ٤٩.

المبحث الثاني

الفضائل الأخلاقية في الفلسفة المصرية القديمة

كانت الحياة الحقيقية في الفلسفة المصرية القديمة هي الحياة الآخرة، وما الحياة الدنيا الا معبرًا لهذه الحياة الأبدية يقول الإمام أبو زهرة: "... فقد كانت هذه الدنيا في نظرهم فترة قصيرة، بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل إن دنيانا ليست إلا ممرًا إلى ذلك الخلود" [(١)]؛ ولهذا كان الاهتمام من المصريين القدماء منصبًا على هذه الحياة؛ ولهذا نجدهم شيدوا الأبنية التي تكون سكنى لهذه الحياة، وما الأهرامات التي يشهد عليها الزمان والواقع الذي نعيشه الآن الا دليلًا دامغًا على الاهتمام بهذه الحياة، فضلًا عما كتبه المؤرخون عن هذه الفلسفة وما وجدناه من وثائق تركها لنا الأجداد تدل على شدة إيمانهم بهذه الحياة وشدة تدينهم على الوجه العام حتى قال عنهم "هيرودوت" [(٢)] مقولته الشهيرة: وهي: "إن المصريين

---

(١) الشيخ أبو زهرة (محمد بن أحمد مصطفى بن أحمد بن عبد الله أبو زهرة المتوفى عام ١٣٩٤هـ): مقارنات الأديان – الديانات القديمة –، ص ١٥و ١٦، ط دار الفكر العربي، عام ١٤٣٨هـ /٢٠١٧م.

(٢) هيرودوت (٤٨٤– ٤٢٥) ق.م مؤرخ إغريقي ينحدر من أسرة كريمة. ولد في "ماليكارناسوس" بأسيا الصغرى، سافر إلى بلاد كثيرة كانت مصر من بينها. كتب عن الصراع بين الإغريق والفرس، ورجع في تتبع العداء بين أوروبا وأسيا إلى أقدم العصور. كان كاتبًا موهوبًا، واسع الأفق، ذكي الفؤاد، طل الذوق، شغوفًا بتسجيل الطريف والغريب، بارعًا في الوصف، قادرًا على صياغة ما يسمعه من القصص بأسلوب عذب فياض، ومع أنه لم يوجه قدرًا كافيًا من العناية إلى دقة التفاصيل، وتواريخ الأحداث، وتحليل الأخبار ونقدها، والتفرقة بين الحقائق والأساطير، حظى بمكانة متميزة في تاريخ الإنسان والحضارة مما أدى إلى وصفه بـ " أبو التاريخ " وذلك؛ لأنه أول من عالج التاريخ لا باعتباره مجموعة من الحكايات عن الآلهة والبشر، بل باعتباره موضوع بحث علمي، وهو أول من ابتدع فلسفة التاريخ، راجع: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٢٦ بتصرف.

أشد البشر تديناً، ولا يعرف شعب بلغ من التدين درجتهم فيه" [١]، كما وجدنا اعتقادهم فيما يحدث بعد الموت من حساب وجزاء وصراط، وأن الإنسان سيحاسب على كل ما قدم من أعمال إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فبقدر صلاح الفرد وتقواه والتزامه بكل ما كان خيرًا وصالحًا تكون إثابته بالحياة الخالدة الطيبة، وبقدر فساده وارتكابه الآثام تكون الحياة الخبيثة، ولما علم المصري القديم بهذه الحياه الأبدية وما من الممكن أن ينتظره فيها حرص على فضائل الأخلاق والأعمال الصالحة التي تضمن رضا الإله والسعادة الخالدة، و"كتاب الموتى" الذي حرص المصريون القدماء على معرفة ما فيه وتطبيقه على أكمل وجه خير شاهد على هذا الأمر، فهذا الكتاب يشتمل على عدد من الفضائل التي يجب على المصري التحلي بها في حياته ليسعد بالراحة الأبدية بعد مماته، يقول الشيخ أبو زهرة متحدثًا عن هذا الكتاب: "هو كتاب يشتمل على آداب وفضائل، وعلى ما تلقته الروح لتحسن الإجابة أمام محكمة الحساب، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين، يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات" [٢]، وقد جاء في هذا الكتاب النهي عن الرذائل والتخلق بما يضادها من الفضائل، فقد جاء فيه النهي عن الكذب والنفاق والاستهزاء والغيبة والنميمة وشهادة الزور والتلفظ بالألفاظ المشينة؛ لأن كل هذه الرذائل يبغضها الإله ولا يرضى عنها، ولهذا كان الفكر الأخلاقي عند المصريين القدماء مجالًا خصبًا يثير الإعجاب؛ لأنه ارتبط بالدين ورضا الإله وانعكس على السلوك العام والعلاقات بين الناس، فمن وصاياهم: "قلت الصدق وطبقت العدل، وأعطيت خبزًا لكل الجائعين في جبل" الثعبان "(ضيعته) وكسوت كلَّ من كان عريانًا فيها، وملأت الشواطئ بالماشية الكبيرة وأراضيها المنخفضة بالماشية الصغيرة، وأشبعت كل ذئاب الجبل وطيور السماء بلحوم الحيوان الصغير... ولم أظلم أحدًا

(١) الشيخ أبو زهرة: مقارنات الأديان – الديانات القديمة – ص ٧.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

قط في ممتلكاته حتى يدعوه ذلك إلى أن يشكوني لإله مـــدينتي، ولكنـــي قلـــت وتحدثت بما هو خير. ولم يوجد إنسان كان يخاف غيره ممن هم أقوى منها حتى جعله ذلك يشكو للإله. ولقد كنت محسنًا لأهل ضيعتي بما في حظائر ماشـــيتي وفي مساكن صيادي الطيور، إني لم أنطق كذبًا؛ لأني كنت امرأ محبوبًـــا مـــن والده ممدوحًا من والدته، رفيع الأخلاق مع أخيه، ودودًا لأخته.(١)؛ وبهـــذا فقـــد ترك لنا الحكماء المصريون القدماء الكثير من الوصايا التي تزخـــر بالفضـــائل الخلقية العالية، ومن الأدلة على ذلك أيضًا مـــا نجـــده فـــي نقـــوش الأهـــرام والمقابر(٢)، ودائمًا كان للقيم الأخلاقية مكانة كبيرة عندهم فمن وصـــايا "بتـــاح حوتب" عن الحق قوله: ".. إن الحق جميل، وقيمته خالدة، ولم يتزحزح من مكانه منذ خلق" (٣)، وفي المقابل نجد نبذ الرذائل والتحذير منها والحزن من شـــيوعها وانتشارها في المجتمع، وفي هذا الأمر نجد رجلًا بائسًا يستاء من انتشار الرذائل في مجتمعه فيتحدث مع نفسه قائلًا: "لمن أتكلم اليوم؟ فالرجل التقي صار بائسًـــا، والخير لا وزن له. لمن أتكلم اليوم؟... الخائن صار أمينًا، والأمين عدوًا.... فـــلا يوجد عدل، لذا تركت الأرض للظالمين" (٤)، ومن كلام الرجل اليائس هذا يتضح أنه كان هناك دستورًا أخلاقيًا هو الأساس الذي يجب أن يتبعه الجميع ويسيرون عليه وأن الحيد عنه يعد شذوذًا وانحرافًا عن الحق ويؤدي إلى فساد المجتمع.

---

(١) برستد: " جيمس هنري برستد ": (فجر الضمير)، ترجمة سليم حسن، ص ١٣٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دون تاريخ، وراجع: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: طاهر عبد الحكيم، المجلد الأول، ص ١٢٤، ط: ١، دار الفكر للدراسات والنشر، الفاهرة عام ١٩٩٦م.

(٢) د. محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي – دراسة مقارنة – ص ٣٨ بتصرف.

(٣) المصدر السابق ص ٣٩.

(٤) المصدر السابق ص ٤٥.

المبحث الثالث

الفضائل الأخلاقية في الفلسفة البابلية القديمة

عند الحديث عن الفضائل الأخلاقية في الفلسفة البابلية[١] القديمة نجد أننا لم نبعد كثيرًا عن الفضائل الأخلاقية في الفلسفة المصرية القديمة خاصة لما وجدناه من ارتباط الفضائل الأخلاقية بالدين ارتباطًا شديدًا، فلقد تخلل الدين كل الحضارة البابلية، وسيطر على كل جوانب الحياة، ولم تكن الأخلاق بدورها بمعزل عن هذا التيار الديني[٢]، وقد عزا السومريون إلى الآلهة كل الفضل في وجود الفضائل الأخلاقية، فقد ذكر الحكماء السومريون أن الآلهة يفضلون ما هو أخلاقي وصالح على الفساد والخروج على مبادئ الأخلاق[٣]، وقد ظهرت النصوص الدينية التي تحمل في طياتها الحث على فضائل الأخلاق سواء كانت

---

(١) ذكرت في بعض الكتب البابلية وفي البعض بالأشورية، وفي البعض الآخر يأتي بمصطلح بلاد ما وراء النهر، وأحيانًا أخرى السومرية، وأيضًا الكلدانية، كل هذه المصطلحات تدل على منطقة واحدة أو مكان واحد، فمصطلح بلاد ما وراء النهرين استخدمه الكتاب اليونان للدلالة على المنطقة بين نهري دجلة والفرات، وشاع المصطلح بعد ذلك للدلالة على جميع أراضي المنطقة الواقعة بين النهرين من الشمال وحتى الجنوب، أما مصطلحي بابل وأشور فيدل على المملكتين الرئيسيتين الشمالية والجنوبية في هذه المنطقة منذ الألف الثاني قبل الميلاد، أما بلاد سومر فتعني الجزء الجنوبي من بلاد بابل، والكلدانية يدل على الإمبراطورية البابلية الثانية بعد سقوط الدولة الأشورية، وبهذا فكل المصطلحات تدل على مكان واحد، راجع: أ. د هاري ساكز: عظمة بابل " موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة"، ترجمة وتعليق أ. د عامر سليمان، هامش ص ٢٣، وص ٢٤ بتصرف ط ١ لندن عام ١٩٦٢م.

(٢) أ. د نجاح الغنيمي: الفكر الأخلاقي في ضوء الإسلام ص ١٨- ١٩ بتصرف، دون ذكر دار النشر، ودون ذكر تاريخ النشر.

(٣) كريمر" صمويل كريمر": من ألواح سومر، ترجمة: أ. طه باقر، تقديم ومراجعة: د. أحمد فخري، ص ١٩٢، و١٩٣بتصرف.

شعرًا أم نثرًا كما كان في مصر القديمة، ومن هذه النصوص ما وجد في كتاب الحكمة وهو من الكتابات التي عثر عليها الباحثون فيما يتعلق بالفلسفة البابلية، فقد نص الكتاب على مجموعة من الوصايا منها: "لا تقدم شرًا إلى خصمك، وأحسن إلى من أساء إليك،..... إن الخوف من الإله يجلب الرضا، وإن التضحية تطيل الحياة، وإن الصلاة تنقذ من الآثام" (١)، ومن الأناشيد التي تذكرنا بكتاب الموتى في الفلسفة المصرية القديمة، نص يخاطب فيه الإنسان الإله ويخبره بأنه لم يفعل الشر قط ويطلب منه العفو عما صدر منه بغير قصد، فقد جاء في نص الأنشودة: "إنني سأعبدك ولن المس الشر، فاغفر لي الآثام التي ارتكبتها عن علم أو عن غير علم منذ طليعة شبابي إلى هذا اليوم واطرد الذنب عني"(٢)، وبالإضافة إلى هذه الأناشيد الدينية التي تضم دستورًا أخلاقيًا اتخذه الناس منهجًا متبعًا يسيرون عليه، فقد وضع حكام هذه المنطقة التي ظهرت فيها هذه الفلسفة مجموعة من القوانين التي أخذت صيتًا واسعًا وكان أكثر هذه القوانين شهرة وقوة ما عرف بقانون "حامورابي" (٣) وعلى الرغم من أن هذا القانون قد فصل الأخلاق عن الدين إلا أن واضعه قد جعل كلمة الدين في بداية القانون وفي خاتمته ليكون بمثابة إنذارٍ للناس بأن هذا القانون قد بني على دستور إلهي كنوع من الإلزام بما احتوى عليه، فقد بدأ حمورابي قوانينه بمقدمة أطرى فيها في تمجيد الآلهة وتعظيمها، بالإضافة لتأكيده البالغ على شرعية قوانينه، وأنها ما قننت إلا لتساعد على توطيد العدل وإحقاق الحق، وكما فعل في المقدمة فعل في

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص ٣٢٧، نقلًا عن دينيس سورا ص ١١٥، طبعة باريس عام ١٩٣٤م.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٧، نقلًا عن دينيس سورا ص ١١٦.

(٣) " هو قانون يرجع تاريخه إلى القرن الثالث والعشرين قبل عيسى –عليه السلام –، وهو قانون وجد مكتوباً على الصخر في نحو أربعة آلاف سطر، ومؤلف من نحو ثلاثمائة مادة جمعت أهم نواحي الحياة الاجتماعية المعروفة في ذلك العهد "، راجع د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص بتصرف ٣٢٨.

الخاتمة، فقد اختتم قوانينه بخاتمة طويلة كتبت بنفس الأسلوب التي كتب به المقدمة وذكر فيها جميع ما قام به من أعمال وطلب من جميع آلهة البلاد إفتاء كل من لا يعمل بهذه القوانين ومن يحاول طمسها وتخريبها أو إضافة اسمه عليها (١)؛ لذلك قام رجاله في السنوات الأخيرة من حكمه بتسجيل تشريعاته؛ حيث قاموا بنقشها على نصب كبير من الديوريت (٢)، وصوروه في جزئه العلوي يتلقى الإذن بإصدار تشريعاته من رب العدالة (٣)، ومن نصوص المواد التي جاءت بهذا القانون ما ورد بشأن السرقة، فقد ورد في المادة السادسة ما نصه: "إذا سرق سيد ثروة تعود للإله أو القصر فإن ذلك الشخص يعدم كذلك يعدم من يتقبل المسروقات منه" (٤)، ومما يتعلق بالأمانة ما ورد في المادة السابعة، فقد نصت على: "إذا اشترى سيد أو استلم على سبيل الأمانة إما فضة أو ذهبًا أو رفيقًا أو أمة أو ثورًا أو شاة أو حمارًا أو أي شيء آخر من يد ابن سيد أو رقيق سيد بدون شهود وعقود فإن ذلك السيد سارق ويجب أن يعدم" (٥).

ومما تجدر الإشارة إليه أن تشريعات "حمورابي" لم تكن وليدة عصرها، بل سبقتها تشريعات أخرى يبدو أن مشرعي قانون "حمورابي" استقوا منها تشريعاته

---

(١) راجع د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص بتصرف ٣٢٨، وراجع: شريعة حمورابي، ترجمة محمود أمين، تقديم: الأب سهيل قاشا، ص ٧٤ بتصرف، ط ١، دار الوراق المحدودة، لندن عام ٢٠٠٧م.

(٢) الديوريت، حجر من أنواع الحجارة البركانية وبالإنجليزية Diorite، وهو صخر ناري جوفي، كبير الحبيبات، يتركب من معدن البلاجيوكلاز والهورنبلند والميكا السوداء، لونه رمادي إلى سواد، راجع: معجم الجيولوجيا، مجمع اللغة العربية، ص ١٢٩، ط٢، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة عام ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

(٣) د. رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته: إيران – العراق، ج١، ص ٢٢٢ بتصرف، دار نهضة الشرق، دون تاريخ.

(٤) شريعة حمورابي، ص ١٤.

(٥) المصدر السابق، الموضع نفسه.

وأضافوا إليها، ومن هذه التشريعات:" أوركاجينا "الذي يعد أول مشرع في تاريخ البشرية، و" أرنمو "مؤسس أسرة أور ويعد من أقدم واضعي التشريعات، أيضًا" لبث عشتار "خامس ملوك آسين في عصر الأحياء، و" بلالاما "أهم ملوك مدينة أشنونا السومري(١).

مما سبق يتبين التشابه بين الفلسفة الدينية البابلية القديمة والفلسفة الدينية المصرية القديمة فيما يتعلق بارتباط الفضائل الأخلاقية بالدين، هذا وإن ثبت أن ما وجد في مصر القديمة من عقائد (كعقيدة اليوم الآخر والحساب والصراط والجزاء)، وغيرها من الفضائل الأخلاقية كانت شذرات من دعوات سماوية مرت عليها – دعوة سيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام – فلم يستبعد حدوث ذلك أيضًا في الأمة البابلية خاصة وأن أسطورة الطوفان التي توجد في هذه الفلسفة تتشابه مع قصة سفينة سيدنا نوح – عليه السلام –، تقول الأسطورة:".. إله العلم أسرع إلى إنذار رجل من بني الإنسان كان يحبه.....، ونصح إليه في الرؤيا أن يصنع في الحال سفينة كبيرة وأن يركب فيها هو وأسرته وأن يأخذوا معهم كل ما يلزمهم من حيوانات وطيور، فأذعن الرجل لأمر الإله ولم يكد يركب السفينة حتى غمرت المياه الأرض وما عليها وظل هذا الغمر يغطي كل شيء مدى سبعة أيام كاملة...، وفي نهاية اليوم السابع انقطع الطوفان ورست السفينة على جبل "(٢)، أيضًا ذكرت بعض الكتب الأسطورة نفسها وذكرت اسم الرجل الذي نجا وأسرته، فقد جاء في قصة الحضارة ما نصه:" ولكن شمش – نشتين كان قد بنى فلكا ونجا من الطوفان وحط على جبل

(١) د. رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته: إيـــران – العـــراق، ج١، ص ٢٢٢ بتصرف، ود. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، ص ٤٥٩ بتصرف، ط ٣ عام ١٩٨٢م.

(٢) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص ٣٢١، ط القاهرة، عام ١٩٣٨م.

نزير "[١]، وكان هذا الطوفان نتيجة لغضب الآلهة على الناس تقول الأسطورة:" غير أن الآلهة لم تلبث أن غضبت على الناس الذين خلقتهم، فأرسلت عليهم طوفاناً عارمًا لتهلكهم وتمحو به سيء أعمالهم "[٢].

(١) ول ديورانت " وليم جيمس ديورانت المتوفى عام ١٩٨١م ": قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج ٢، ص، ٢١١، بيروت، وتونس، دون تاريخ.

(٢)" قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج ٢، ص، ٢١١.

المبحث الرابع

الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الهندية القديمة

ارتبطت الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الهندية القديمة في مطلقها بمعنى الخير بالدين، فتمثل الخير في تأدية الطقوس الدينية، فإذا أدى الإنسان الطقوس الدينية على وجه الدقة، فقد بلغ درجة الكمال في الحق والخير، وإذا أخطأ أو قصر، فقد أثم إثمًا يكون منشأ الشر؛ ولهذا حرص الهنود على الزهد ومحاربة نوازع النفس إلى الشر، فقد جاء في شرائع" مانو "(١):" أن الذي تغلب على نفسه فقد تغلب على حواسه الذي تقوده إلى الشر، إن النفس لأمارة بالسوء "(٢)، وقد ارتبط تحقق مظاهر الخير من سعادة وغنى وصحة وغيرها بالعكوف على الشعائر الدينية من إجادة وإتقان، وارتبطت مظاهر الشر من شقاء وفقر ومرض وغيرها إذا أساء الشخص للتعاليم الدينية والطقوس المقدسة(٣)، وكان للمصلحين والحكماء دورٌ عظيمٌ في الدعوة إلى الفضائل الأخلاقية عن طريق الطهارة للفوز بالكشف وبالحياة السعيدة في العالم الأبدي يقول" برخمينس "(٤):" أي امرئ هذب

---

(١) شرائع مانو أو قانون مانو: هو مجموعة من النصوص العرفية القديمة، تقوم بتنظيم شؤون الحياة اليومية وتقرر ما للطبقات من حقوق وواجبات، راجع: علاء حسن شرف، وخلود حبيب كرم: الفكر السياسي الهندي في ضوء نصوص الفيدا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، ص ٢٥-٢٦، العدد ٧ عام ٢٠١٨م.

(٢) د. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى – الهندوسية والجينية والبوذية –، ج ٤، ص ٦٨، مكتبة النهضة المصرية، ط ١١ عام ٢٠٠٠م.

(٣) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ط القاهرة، ص ١٠٠ بتصرف.

(٤) حكيم هندي، كان رجلا جيد الذهن، ناقد البصيرة، صائب الفكر، راغبًا في معرفة العوالم العلوية، أخذ من " قلانوس الحكيم، تلميذ "فيثاغورث"– الفيلسوف اليوناني الشهير، ولد برخمينس بين عام ٥٨٠، ٥٧٠ ق. م، أسس مدرسة في الفلسفة، عرفت بالمدرسة الإيطالية القديمة والتي أثرت في المدارس الفلسفية اللاحقة، خاصة الفلسفة الأفلاطونية=

نفسه وأسرع للخروج من هذا العالم الدنس، وطهر بدنه من أوساخه، ظهر له كل شيء، وعاين كل غائب، وقدر على كل متعذر، وكان محبورًا مسرورًا، ملتذًا عاشقًا، لا يمل ولا يكل، ولا يمسه نصب ولا لغوب "(١)، ومن أقواله أيضًا:" إن ترك لذات هذا العالم هو الذي يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا في سلكه، وتخلدوا في لذاته ونعيمه "(٢) يقول" الشهرستاني "معلقًا على أقوال" برخمينس "هذه بقوله:"فدرس أهل الهند هذا القول ورسخ في عقولهم "(٣)، وقد حرص الهنود على الأعمال الصالحة، فالعمل الصالح هو الذي يظل مع صاحبه حين يتركه الأهل والأحباب، فقد جاء في كتاب الهنود المقدس:" إن الأهل؛ ليتركون جسم قريبهم، ملقى على الأرض، كجسر أو كهضبة. ويفرون منه؛ مكفهري الوجوه، ولا يتبعه إلا عمله، فعليه إذن: أن يسعى إلى اكتساب صالح الأعمال، باستمرار؛ لتكون له رفيقًا بعد الموت؛ لأنه يستطيع أن يقطع بالعمل الصالح، كل ظلام؛ لا يمكن قطعه بغيرها "(٤)، وقريب من هذا ما جاء بنفس الكتاب المقدس لديهم ما نصه:" قد يتخلى المرء عن رفقة: أبوه وأمه وزوجه وابنه وجميع الأقرباء، ولا تبقى معه إلا الصالحات "(٥)، فهذا يذكرنا بقوله تعالى:

=المحدثة، – التي كانت تعرف حكمته، ولما توفي " قلانوس " ترأس " برخمينس" على الهند، فرغب الناس في تلطيف الأبدان وتهذيب النفس، راجع الشهرستاني " أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨هـ ": الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ج٢، ص ٦١٤ بتصرف، ط الثالثة عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(١) المصدر السابق، الجزء نفسه الصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها بتصرف.

(٣) المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها بتصرف.

(٤) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، عربه وشرحه وعلف عليه: إحسان حقي، ص ٢٦١، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ.

(٥) المصدر السابق ص ٢٦٠.

﴿وَأَن لَّيسَ لِلإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ٣٩﴾ [النجم: ٣٩]، ويذكرنا أيضًا بقوله تعالى: ﴿يَومَ يَفِرُّ ٱلمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ٣٥﴾ [عبس: ٣٤-٣٥]؛ ولهذا حرص الهندوس على العمل الصالح؛ لأنه سيكون سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويكفر عن سيئاتهم فقد جاء في كتابهم المقدس:" ينال المرء بالعمل الصالح: حياة طويلة، وأولادًا صالحين، ومالًا لا يفنى. والصالحات يذهبن السيئات "(١)، وعلى النقيض من ذلك لمن ساء عمله:" من ساء عمله؛ يكون مليمًا بين الخلق، ويقاسي أنواع الشقاء، ويصاب بالأمراض، وقصر العمر "(٢).

ومن الفضائل التي تدعو إليها الفلسفة الهندية القديمة:" مراعاة الكائن الإلهي، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والقناعة واحترام ملك الآخرين، والاستقامة، والطهارة الشاملة، وكبح جماح النفس والحواس، ودراسة الفيدا والتعقل، والصبر والمثابرة، والصدق وحب الحقيقة، واجتناب الغضب "(٣)، أيضًا من الفضائل التي دعا إليها كتاب الهنود المقدس: التحلي بخلق الأمانة، فقد جاء به:" على المؤتمن: أن يعيد الأمانة إلى صاحبها، في الحالة التي تسلمها بها "(٤) وفي المقابل يحددون الرذائل التي يجب أن يبتعد عنها الإنسان، ومما جاء بشأن النميمة والكذب:" ولا يأكل طعام النمّام ولا طعام الكذّاب، ولا طعام من يبيع عبادته "(٥)، ومن النصوص التي تنبذ الكذب والغرور والخيلاء:" إن الكذب يذهب التقدمة هباء، والزهو يضيع الثواب"(٦)، ومما شجع الهندوسي على الحفاظ على هذا المنهج الأخلاقي

(١) منوسمرتي: (كتاب الهنود المقدس) ص ٢٤٢.
(٢)، المصدر السابق، ص ٢٤٢.
(٣) جامعة المدينة العالمية: الأديان والمذاهب، ص ٣٢٥.
(٤) منوسمرتي: كتاب الهندوس المقدس، ص ٤٤٥.
(٥) المصدر السابق ص٢٥٥.
(٦) المصدر السابق: ص٢٦٠.

من تحلي بالفضائل واجتناب الرذائل ارتباط هذا المنهج بالجزاء الأخروي، حيث يلقى صاحب الفضائل ثوابًا روحيًا، ويلقى فاعل الرذائل عقابًا أليمًا.

وممن دعا إلى الفضائل الأخلاقية في الهند" بوذا "[١] الذي قامت دعوته على نبذ عدد من الرذائل تقوم الفضائل على أضدادها، وينبغي أن يشار إلى أن هذه الفضائل القائمة على أضداد الرذائل تسمى بالفضائل السلبية؛ لأن صاحبها لم يفعل شيئا سوى أنه تعفف عن الرذيلة، فعلى سبيل المثال، من تعفف عن السرقة لم يزد عن كونه هجر هذه الرذيلة أي أنه لم يصل لدرجة الزهد أو الإيثار؛ ولهذا كانت أهم الفضائل الحقيقية أو الفضائل الإيجابية عندهم هي: حب الحقيقة، والرأفة، والطهر، والإحسان، ومداومة التقوى، هذا وقد انتشرت هذه الدعوة بين تلاميذ" بوذا "بل وعمت أرجاء الهند وسميت بوصايا" بوذا "، وكانت هذه الرذائل تذكر في بداية الأمر دون ترتيب أو تخصيص. ثم بعد ذلك تم تخصيصها على النحو التالي: الرذائل التي تهوى بالإنسان عشر، والجهات التي تأتي منها ثلاث، اختصت كل جهة منها بعدد من تلك الرذائل، فرذائل الجسم ثلاث وهي التعذيب والسرقة والزنا، ورذائل النطق أربع، وهي: الكذب والنميمة والسباب والطيش، ورذائل التفكير ثلاث، وهي: الطمع والخبث والتزييف [٢]، وكان لانتشار التعاليم والوصايا البوذية في الهند أثرًا على العديد من الفلسفات الدينية التي توجد بها والتي كان منها الفلسفة الدينية اليوجية [٣] التي وضعت مجموعة من المراحل أو

---

(١) رجل صالح، عاش نحو ٥٠٠ أو٤٨٠ ق. م في شمال شرقي الهند، ينحدر من أسرة من الأمراء، كرس نفسه لحياة الكفارة والتوبة، توفي بوذا عام عن ثمانين عام، انظر: جورج طرابيش: معجم الفلاسفة ص١٩٧بتصرف، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط ٣ عام ٢٠٠٦م.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة ج٣، ص ٢٦٠ – ٢٦٧، ومحمد مرسي أبو الليل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ص ٥٣ بتصرف، ط مؤسسة سجل العرب، القاهرة، عام ١٩٥٦م.

(٣) هي فلسفة دينية، ظهرت خلال عام ٨٠٠ ق. م، ولم يعرف تحديدًا أول من أسسها "، انظر بودها: الفلسفة الهندية، ترجمة " سانان شايا نوكول ص ٧٩– ٨٠ بتصرف، ط عام ١٩٧٠م، نشر الجامعة البوذية، بانكوك، تايلاند.

الوسائل لابد من اجتيازها ليصل الفرد لمرحلة التنوير الأعلى، وكان من هذه المراحل:" ياما ": وتعني أتباع الوصايا أو التعاليم اليوجية الخمس والتي هي: لا تؤذ، ولا تكذب، وتسرق، وتشته، ولا تدخر، وكان منها أيضًا:" نياما ": وتعني المحافظة على خمس فضائل هي: النظافة، والقناعة، والتقشف، و حفظ النصوص المقدسة وتلاوتها، والتقوى(١).

مما سبق فقد تبين الدور المهم الذي قام به المصلحون في الحضارة الهندية من الدعوة إلى الفضائل الأخلاقية فضلًا عن ارتباط هذه الفضائل بالدين، هذا وما ظهر لنا من ارتباط الفضائل الأخلاقية بالدين والجزاء الروحي واشتغال المصلحين واهتمامهم بالدعوة إلى الفضائل والتخلي عن الرذائل يجعلنا نقول: إن الأمة الهندية كغيرها من الأمم التي توافد عليها دعوات الأنبياء وبالتالي فما وجد منها من دعوات للفضائل وأخذها هذا الجانب الروحي المقدس ما هي إلا شذرات لدعوات سماوية مرت على هذه الأمة خاصة إذا وجدنا هذه الوصية عندهم:" لا تصنع لغيرك ما لا تحب أن يصنعه غيرك لك، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك أشد الحب "فهذه النصيحة تذكرنا بقول نبي الإسلام محمد ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه "(٢)، وذلك؛ لأن ما جاء به الأنبياء – عليهم السلام – وما دعا إليه محمدﷺ خرج من معي واحد.

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص ١٤٣ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى عام ٢٥٦هـ" افي صحيحه بطريق أنس، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣، ص ٢٣، دار الفكر، بيروت، لبنان.

المبحث الخامس

الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الفارسية القديمة

عندما نقف على الفلسفة الفارسية القديمة؛ لنرى ما تدعو إليه من فضائل نجد أنها تدعو إلى أجل الفضائل وأسماها من شرف وإحسان وأمانة وصدق وإخلاص وعدالة وعفة وغيرها من الفضائل السامية، وكانت الأخلاق في هذه الفلسفة تدور حول ما يسمى بالقاعدة الذهبية التي تقول:" الطبيعة لا تكون خيرة إلا إذا منعت صاحبها من أن يفعل بغيره ما ليس خيرًا له هو نفسه "[١]، – هو المعنى نفسه للدعوة الذي وجدناه في الفلسفة الهندية السابقة –، ومن الفضائل الأخلاقية عندهم ما ذكر في الأبستاق:" إن على الإنسان واجبات ثلاثة: أن يجعل العدو صديقًا، وأن يجعل الخبيث طيبًا، وأن يجعل الجاهل عالمًا، وأعظم الفضائل عندهم هي التقوى، ويأتي بعدها مباشرة الشرف والأمانة عملًا وقولًا، وحرم أخذ الربا من الفرس وجعل الوفاء بالدين واجبًا يكاد يكون مقدسًا "[٢]، وفي المقابل نجد النهي عن الرذائل، وكانت أعظم الخطايا عندهم هي الكفر[٣].

إضافة لما ذكر فإن عند مطالعة الديانة الزرادشتية، والتي تعد من أشهر الديانات التي ظهرت عند الفرس يبهرنا ما دعا إليه زرادشت سواء دعوته إلى عبادة إله واحد أو ما دعا إليه من فضائل حث عليها ورغب في العمل بها والسير على مقتضاها وما نهى عنه من رذائل الأمر الذي جعل البعض[٤] يرجح

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة، ج ٢، ص ٤٣٢.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ج ٢، ص ٤٣٢ بتصرف.

(٤) زعم المجوس أن " زرادشت نبيهم، وذكر علماء الفرس أنه جاء بكتاب ادعاه وحيًا، وأنه كتب في اثني عشر ألف مجلد نقشًا بالذهب، راجع الطبري" أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ": تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،=

كونه نبي من الأنبياء –عليهم السلام – الذين أرسلهم الله للأمم السابقة، وذلك استنادا لقوله – تعالى –: ﴿... **وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ٢٤**﴾ [فاطر: ٢٤] إلا أنه لم يعلمنا به في القرآن الكريم قال – تعالى –: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ٧٨**﴾ [غافر: ٧٨]، وقد ارتبطت الفضائل في هذه الديانة بالإيمان، وحرصت الزرادشتية على الحث على أمهات الفضائل التي كان عمادها ركائز ثلاث، وهي الثالوث المقس في الديانة الزرادشتية وقد ورد ذكرها في أفستا" الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية تحت مسمى: "الفكر الخير، والكلمة الخيرة، والفعل الخير" [(١)]، وإذا نظرنا إلى آيات الذكر الحكيم، القرآن الكريم، دستور الأخلاق العظيم، نجد في كثير من آياته ارتباطا بين الإيمان والقول الطيب، والإيمان والعمل الصالح قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧]، وجاء في الأفستا الحث على كل خير ونبذ كل شر، فمن الحث على الخير قوله: "سعت كل

=ج١، ص ٥٤٠ بتصرف، ط ٦، دار المعارف، دون تاريخ، وراجع: ابن خلدون " عبد الرحمن بن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ": تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحاذة، مراجعة د. سهيل زكار، ج٢، ص ١٩٠، دار الفكر، بيروت – لبنان عام ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

(١) أفستا " الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، ص ١٥٤، ط ٢، عام ٢٠٠٨م، روافد الثقافة والفنون، وحامد عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص ٨٩ بتصرف.

قواك إلى إلهام الفكر الخير" [١]، وفي المقابل يكون النهي عن الرذائل، فنجد في الأفستا ما ينص على هذا: "لترعب لأجلي كل فكر ينطق بالسوء" [٢]، وقوله: "ولترعب كل إنسان شرير يعاديني بالقول السيء" [٣] ومن وصايا أهوارامزدا لزرادشت ما جاء في الأفستا: "انتمي إلى خمسة ولا تنتمي إلى خمسة، انتمي إلى الفكر الخير لا الشرير. إلى الكلمة الخيرة لا الشريرة. إلى العمل الخير لا الشرير. إلى الطاعة لا التمرد. إلى الصدق لا الكذب" [٤]، ومن وصاياه أيضًا: "امتنع عن التعامل مع الشريرين المقرفين، المخربين، الفتاكين من الأبالسة الأكثر كذبًا، الأكثر فسادًا، الأكثر شؤمًا من بين كل الموجودات، اتبرأ من الأبالسة وأعمالهم، إتبرأ من السحرة وأعمالهم، من الذين يغتصبون الحياة، الأفكار، الأقوال، الأفعال" [٥]، وبهذا، فما رأيناه في الديانة الزرادشتية من الحث الواضح على الفضائل والترغيب فيها ونبذ الرذائل والتنفير منها يجعل من الممكن القول بأن ما علمناه عن تعاليم ذرادشت ونقرأه الآن قد يكون ما هو إلا شذرات من ديانة سماوية سابقة لم يقصها الله – تعالى– علينا في كتابه الحكيم، القرآن الكريم، وهذا الأمر هو الذي دعا صاحب الأسفار المقدسة أن يقول: "تدعو الديانة الذرادشتية إلى الفضائل نفسها الذي يدعو إليها الإسلام، وتنهي عما ينهي عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر والبغي" [٦].

---

(١) أفستا، ص ٤١.

(٢) أفستا، ص ٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٣.

(٦) علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٥٥، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة – مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

المبحث السادس

الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الصينية القديمة

ارتبطت الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الصينية بالطبيعة ومظاهرها، فقد رأى الصينيون أن قوى الطبيعة الثلاث "السماء، والأرض، والإنسان" قد ربطت بقانون منظمٍ محكمٍ، وأن لكل واحد من هذه القوى غاية معينة لابد من تحقيقها، وكان لهذا الارتباط المحكم أثره العميق في كل شيء، فإذا حدث أي اضطراب في أي من هذه القوى يتردد صداه في الآخرين، فما يحدث في الطبيعة من زلازل وبراكين وكسوف وخسوف وجدب وأوبئة ما هو إلا نتيجة ورد فعل لجرائم ارتكبها الإنسان وعلى النقيض من ذلك أي يكون الخير والنماء إذا سلك الإنسان السلوك القويم وسار على الصراط المستقيم(١)، وقد جاء في "أونج – فان" أو القاعدة العظمى، وهي أقدم مستند فلسفي صيني: "إن سلوك احترام من يستحق الاحترام يجلب الغيث في الوقت المراد، والتبصر يجلب الحرارة في الوقت المراد، والتمرن يجلب البرودة في الوقت المراد، وحكمة الملك تجلب الهواء في الوقت المراد، ولكن الفظاظة تديم المطر من غير انقطاع، والكسل يديم الحرارة من غير انقطاع، والتهوس يجلب البرد من غير انقطاع، واحتقار ما يستحق الاحترام يجلب الجدب، والحماقة تجلب العاصفة" (٢)، ولهذا فقد حرص الصينيون أن يكونوا صالحين دائمًا، وحرص المصلحون فيهم على نشر هذا الأمر، فنجد "كونفوشيوس" (٣) يدعو الناس إلى الصلاح ليحيا حياة صحيحة،

---

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص ٢٢٤بتصرف.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وزانكير: تاريخ الفلسفة الصينية، ص ٤٨.

(٣) حكيم صيني، ولد عام ٥٥١ ق. م في " شانغ – بينغ" في الإقليم الذي يعرف حاليا باسم: سو– شويه " شان – تونغ " وتوفي في الموضع نفسه عام ٤٧٩، للاستزادة: راجع: الطرابيشي: معجم الفلاسفة ص ٥٥١– ٥٥٤.

فنجده يقول: "إن الناس قد ولدوا صالحين ويجب أن يبقوا صالحين ما داموا أحياء" [١]، وبين لهم وسيلة هذا الصلاح وهو الحرص الدائم على المعرفة والعدالة والوفاء، ووضع منهجٍ لنشر فلسفته الأخلاقية واعتمد هذا المنهج على ما يلي:

أولاً: دعوة الأشخاص المقربين من أهل وأصدقاء وجيران.

ثانيًا: التدرج في الدعوة؛ ليكون البدء بالأمور السهلة، ثم الانتقال إلى القضايا الأخرى؛ حتى لا يسأم المدعوون.

ثالثًا: مخاطبة كل إنسان على قدر طاقته.

رابعًا: القدوة بتقديم الصور العملية مع الدعوة النظرية.

خامسًا: الاختلاط والمعايشة، ويكون بالعيش شبه الدائم مع المدعوين.

سادسًا: تدعيم الثقة والألفة، وذلك بتقوية العلاقات الكريمة.

سابعًا: معاقبة المسيء حتى لا يتحول الأمر إلى الفوضى[٢]، ومن وصايا كونفوشيوس لتلاميذه قوله: "لا ينبغي للعاقل أن يجعل ملذات العيش غاية أمله، فليزهد في حل وترحال، وملبس ومال، وليكن مسعاه إلى عمل بإتقان، ولسان مصان، وحرص في القول وأمانة في العمل، وليحاذر في الصحبة. فلا يجالسن إلا من كملت أخلاقه وحسنت صفاته" [٣]، والأخلاق عنده هي التي تُنير الطريق للإنسان وتجعله على بينة من أمره وتضمن له الاستقامة على الحق. يقول كونفوشيوس: "من جعل الأخلاق أساس الحكم، صار كمثل نجم قطبي، يثبت

---

(١) جامعة المدينة العالمية: الأديان والمذاهب ص ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه بتصرف.

(٣) محاورات كونفوشيوس، نحقيق: ليوجون، ولين سونغ، وبوكيكون، ترجمة: محسن سيد فرجاني، ص ١٨، المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٠م.

بالنور مكانه، وتهيم في مداره أفلاك من كواكب سيارة" [١]؛ لذلك تعد مكارم الأخلاق قوة ملزمة تستطيع أن تفعل ما لا يقدر عليه الكثير من مصادر الإلزام الأخرى، فإن استطاع القانون أن يجبر الناس على عدم فعل الرزيلة، فإنه لا يستطيع أن يبين لهم ويقنعهم بمدى قبحها ودنائتها، يقول "كونفوشبيوس" : "إن الهداية بقوة القانون، وإن الرشاد بسن العقوبة والنص عليها في متون التشريع... كل ذلك قد يجبر الناس على اجتناب الرزيلة، لكنه لا يقنعهم بفداحتها، ولا يبغضها في نفوسهم تبغيضًا. أما الموعظة بمكارم الأخلاق، والتهذيب بالحض على التقوى ومحامد السلوك، فيوقد الخشية في القلوب، ويلهب الرعب في الضمير ويقود النفس بزمام إرادتها طائعة مختارة إلى صادق التوبة وأزكى المثاب" [٢].

وقد سار على نهج "كونفوشيوس" وعمل على نشر تعاليمه من جاء بعده فنجد "مو" [٣]: "دعا إلى نفس ما كان يدعو إليه" كونفوشيوس "وربط لهم الصلاح برباط مقدس وهو الدين، فنجده يقول:" تريد السماء من الناس أن يحبوا، وأن ينفع بعضهم بعضا، ولا تريد من الناس أن يكرهوا ويسئ بعضهم إلى بعض "[٤]، وإضافة لما ذكر، فقد اتبع" كونفويوس "مبدأ الوسطية، فمن أقواله:" لا تفسد الآخرين بفرط حبك، ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك، وخير الأمور هو الوسط

---

(١) محاورات كونفوشيوس ص ٢١.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) مو تسو أي المعلم مو، وعرف أيضًا بمو- تي، ويسمى باللاتينية ميسيوس، فيلسوف صيني ولد بعد كونفوشيوس، أسس المدرسة الفلسفية والعلمية الثالثة بعد الطاوية والكونفوشيوسية، ولا يعرف على وجه التحديد زمان ولادته، والمرجح أنه عاش بين ٤٥٠-٤٠٠ ق. م، كان رسول محبة، محاميًا عن الحق، راجع: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص ٦٤٢-٦٤٣ بتصرف، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط ١ عام ١٩٧٨م.

(٤) جامعة المدينة العالمية: الأديان والمذاهب ص٣٦٤ بتصرف.

بين الطرفين "[١]، ومما هو جدير بالذكر أن فكرة الوسطية هذه قد أصبحت علمًا على فكر" كونفوشيوس "ومذهبه الأخلاقي العام، فقد ذكرت المصادر أن حفيد الحكيم جمع أقوال جده في رسالة سماها مبدأ الوسطية [٢]، ومعروف أن الوسطية الحقيقية هي الوسطية التي دعا إليها الإسلام، الدين الإلهي الخاتم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ.. ﴾ [البقرة: ١٤٣].

مما سبق يتبين أنه لكي يعيش الإنسان حياة هادئة بعيدة عن تقلبات الطبيعة لابد أن يكون فاضلًا ويسير على الطريق القويم وما المراد بـــ" التاو "في الفلسفة الصينية إلا الطريق المستقيم الممنوح من السماء ومعلوم أن السماء من المقدسات القديمة في الديانة الصينية القديمة، ومن هنا يتبين ارتباط الفضائل الأخلاقية بالدين في الفلسفة الصينية، وبسبب هذا الارتباط الشديد أعلن المبشرون المسيحيون الذين اتصلوا بالصينيين في القرن التاسع عشر أن الإله قد أوحى إلى الصينيين كما أوحى إلى الإسرائيليين، وأن" شانج – تي "ليس إلا الرب السماوي المذكور في الكتاب العبري المقدس، والأكثر من ذلك هو أن أحد اليسوعيين في القرن التاسع عشر اشتغل بجمع النصوص الصينية، ليثبت أنها وحي إلهي، وبالإضافة لما ذكر حاول عدد من القساوسة والعلماء أن يربطوا بين التوراة وبين الكتب الصينية تارة في الأخلاق وتارة في أصول العقيدة وغيرها[٣]، وبهذا، فما ذكره المبشرون والقساوسة إن دل على شيء فإنما يدل على أن ما نراه في الفلسفات الدينية القديمة من تشابه في العقيدة والأخلاق بين

---

(١) هنري توماس: أعلام الفلاسفة، ترجمة: متري أمين، ص ٦١، ٦٢ بتصرف، دار النهضة العربية– القاهرة عام ١٩٦٤م.

(٢) أ. د نجاح الغنيمي: الفكر الأخلاقي في ضوء الإسلام ص ٤١ بتصرف.

(٣) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص ٢١٠ بتصرف.

وحي الله ودعوات الأنبياء يجعلنا نقول ربما يكون هذا التشابه ما هو إلا شذرات وبقايا دعوات سماوية أرسلها الله تعالى لهذه الأمم دون أن يقصها علينا أو يعلمنا بها.

المبحث السابع

الفضائل الأخلاقية في الفلسفة اليونانية القديمة

عند الوقوف على الفضائل الأخلاقية في الفلسفة اليونانية القديمة، فإننا نجد ظهور الفضائل الأخلاقية عند القدماء من الحكماء والشعراء، فمن شعراء اليونان الذين صوروا هذه الحقائق الأخلاقية في أشعارهم" هوميروس "(١) في الإلياذة، فمن ذلك ما ذكره في حديثه عن أريس إله الحرب وهو يشكو ما حل بآلهة السماء من الصراع والاقتسام إلى فريقين، فريق مع الإغريق والآخر مع أعدائهم من الطرواد وكان منهم من تسبب في إراقة الدماء بين البشر، منهم ربة الحكمة الذي وصفها لهذا الصنيع بأنها ربة الشر:" فصاح أريس بصوت دوي، يزعزع أركان ذاك الفضا..... وجاء زفس جم الوجل وفر لديه يريه دماه، يبث له حنقا مشتكاه أترضى ولي البرايا بما ترى من فظائع آل السما على بعضنا بعضًا يفترى جزافا لأجل بني البشر ولوم الجميع عليك استقر؛ لأنك انتجت ربة شر أليفة حمق خليفة نكر وليست لغير المفاسد تجري "(٢)، فهذا يدل على الجانب الأخلاقي لدى إله الحرب وتنكره لكل ما هو شر ورذيلة، وبالمعنى نفسه ما ورد في "الأوديسة" من تصوير لجانبي الخير والشر أثناء حديث" تليماخوس بن أوديسوس "عن أمراء اليونان الذين انعدمت عندهم المروءة والأخلاق لطمعهم في ملك أبيه عند غيابه ورغبتهم بالزواج بأمه دون مراعاة لكل ما هو أخلاقي وواجب، فجاء ما نصه:" أنا تليماخوس بن أوديسيوس، صاحب هذه الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل.. لقد دعوتكم لأشكو إليكم بؤسي، لقد فقدت والدي،

---

(١) هوميروس: شاعر يوناني اشتهر بقصيدتيه " الإلياذة "و " الأوديسة" وجد على الأرجح ما بين القرنين الثاني عشر والعاشر ق. م.

(٢) هوميروس: الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، النشيد الخامس، ص ٤١٠، ٤١١، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة – مصر.

وولد الإيثاكيين جميعًا، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار، أسير هؤلاء الخطَّاب الذين يطمعون في الزواج من والدتي، غير متيقن في عرضي إلا ولا راعيين لأبي ذمة... فلقد طفح الكيل، وحزب الشر، وعم الأذى... أيها الخطاب اخجلوا إذن، ولتصبغ الفضيلة وجناتكم بحمرة الحياء اذكروا ما عسى أن يعيركم به جيرانكم، واخشوا قارعة تحل عليكم من أربابكم.. واتقوا يوم تلقونهم تودون لو تلقفتكم الصواعق "(١)، فواضح في حديث" تليماخوس "لقومه خطابه لضمائرهم لعلهم يرجعون لرشدهم خاصة بعد أن طلب منهم مراعاة ما قد يحل عليهم من غضب الأرباب نتيجة لأعمالهم الدنيئة التي تكون سببا في سخطها عليهم، ومع بداية القرن التاسع ق. م وهو عصر" هزيود "(٢) بدأت الأخلاق تمتزج بالتفكير المنظم، ولما جاء" هيراكليت "، وديموكريت" (٣) كانا أول أخلاقيين نشرا أفكارهما

(١) هوميروس: الأوديسة، ترجمة: دريني خشبة، ص ٢٣، ٢٤، دار التنوير، بيروت، القاهرة – تونس.

(٢) "هزيود": كاتب يوناني مشهور بكتابة العمل والأيام وجد في القرن التاسع ق. م، سولون: أحد الحكماء السبعة، عاش في القرنين السابع والسادس ق. م، "أشيل "، و" أوليس"، و" بينيلوب "، " وباريس" أبطال قصيدتي " هومير" الشهيرتين، الإلياذة والأودسا، راجع د. محمد غلاب: الفلسفة النظرية، ص ١٠، ١١ بتصرف.

(٣) "هراكليت" أو هراقليطس: فيلسوف يوناني متشائم ولد في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن الخامس ق. م أي في حوالي عام ٥٧٦ ق. م وتوفي في عام ٤٨٠ ق. م، في مدينة " أفسس" له مؤلفات في الطبيعة أهمها كتاب عُرف بعوان: "في الطبيعة" أو "ربات الفن"، كان عدو للشعراء أمثال هوميروس وهزيود " ديموكريت " أو" ديموقريطس الأبديري فيلسوفيوناني متفائل وكان معاصرا لـــ "هراكليت"، وولد في أبديرا " تراقيا " نحو عام ٤٦٠ ق. م وتوفي في نفس المدينة التي ولد بها وكان مناقضًا له في نظرياته ومذهبه ، كان تلميذًا للقيبوس وكان سليل أسرة ثرية، سافر كثيرًا في شبابه، وكانت مصر من البلدان التي سافر إليها، ألف في كثير من العلوم، منها الطبيعة، والرياضيات والفلكيات، وله كتاب في الشعر، ويُعد من أكبر ممثلي المذهب الذري القديم راجع: جورج طرابشي: معجم الفلاسفة، ص ٣٠٧ و٦٩٧ بتصرف.

الأخلاقية على صورة نظريات فلسفية: فأما "هيراكليت" فقد أعلن أن كل ما في هذه الحياة سائر سيرًا متواصلًا وأنه لا بقاء لحوادث هذا الكون، وإذا فيجب على الإنسان أن يحتمل نتائج النظام العام، بل ينبغي له أن يترك نفسه ينسحب مع تيار الحوادث بلا مقاومة ولا معارضة وأما "ديموكريت" فقد اعتبر السعادة غاية الحياة القصوى، غير أنه حصرها في الصحة واعتدال المزاج وهدوء الروح واشترط لهذه النعم شرطًا أساسيًا لا تتحقق بدونه، وهو العفة، ولما جاء "فيثاغورث" [١] كان من خصائص مذهبه الدعوة إلى الشجاعة والقوة والصداقة والرحمة "' هذا وعلى رغم مما اشتهر عن الإغريق من فصل الدين عن الأخلاق إلا أننا وجدنا تلميحات لفلاسفة الإغريق وإشارات إلى الدين في حديثهم عن الفضائل الأخلاقية وفي هذا الصدد نجد" أندريه كريسون "[٢] يقول فيما يتعلق بهذا الشأن:" مذهب "سقراط" الأخلاقي لم يخل من العنصر الديني، فهو يدعو العاقل إلى الاعتقاد في وجود الآلهة وإلى تقديسها "ويبدو أن" أندريه "اعتمد في رأيه هذا على ما ذكره "الشهرستاني" حيث قال في حديثه عن" سقراط ":" نهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان "[٣] أي أن سقراط كان له اهتمام بالدين ويعتقد بوجود إله، هذا فضلًا عن اهتمامه بالأخلاق الذي حول تيار الفلسفة في عصره من البحث في الطبيعة إلى البحث في الأخلاق حتى قيل عنه بأنه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، وقد أطلق عليه" بوترو"[٤]

---

(١) " فيثاغورث ": فيلسوف رياضي يوناني ولد في جزيرة "ساموس" بين ٥٨٠و ٥٧٠ ق. م، أسس مدرسة الفلسفة التي تعرف بالمدرسة الإيطالية القديمة وبخاصة الأفلاطونية المحدثة، راجع: جورج طرابشي: معجم الفلاسفة، ص ٨٤٠ بتصرف.

(٢) أندريه كريسيون: المشكلة الأخلاقية، ص٧١ – ٨٣، ط الشعب والفكر الأخلاقي ص٨٢.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ٢ ص ٨٩، والفكر الأخلاقي ص ٨٢.

(٤) فيلسوف فرنسي، ولد في ٢٨ تموز عام ١٨٤٥م في " مونروج "، وتوفى في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٢١م في باريس في فرنسا، كان واحدًا نمن أبرز ممثلي معارضة التيار الوضعي، حصل عام ١٨٦٨م على شهادة التبريز في الفلسفة، وقصد " هايدلبرغ " في=

بالمؤسس الأول لعلم الأخلاق[١]، وقد استفاد" أفلاطون "من استاذه سقراط في مذهبه الأخلاقي وأضاف إليه بأن مزج هذا المنهج بنظريات ما وراء الطبيعة، ولما جاء" أرسطو "بنى فلسفته الأخلاقية على السعادة والجمال والانسجام، وتمثلت الفضيلة عنده في التوسط بين رذيلتين كالشجاعة بين الجبن والتهور وهكذا[٢]، أيضًا يظهر عنده الاهتمام بالدين، وذلك من خلال تعريفه للفضيلة فنجده يقول:" الفضيلة ليست أمرًا فطريًا موروثًا، ولاهي وليدة المعرفة (كما كان يزعم أفلاطون)، وإنما هي عادة أو (ملكة) من عادات النفس يمكن اكتسابها والوصول بها إلى درجة الكمال وأكمل العادات على الإطلاق: فعل النفس الناطقة التي هي الجانب الإلهي من نفوسنا "[٣]، يقول" ول ديورانت "في هذا الصدد:" لكن الدين اليوناني... كان عوناً خفيًا للشعب وللدولة في أكثر الشئون الأخلاقية حيوية. من ذلك أن مراسم التطهير وإن كانت كلها مظاهر خارجية كانت ترمز إلى الأخلاق القويمة، كذلك كانت الآلهة تعين على الفضيلة"[٤]، وإضافةً لما ذكر، ومما ينبغي أن يشار إليه هو أن فلاسفة اليونان اهتموا بفكرتين

="المانيا" لإكمال دراسته، ومن أعماله أنه ترجم لفلسفة اليونانيين، وبعد عودته إلى" فرنسا "أصبح مدرسًا للفلسفة في ثانوية مدينة" كان "، وعين استاذًا ومحاضرًا في دار المعلمين العليا، وبعد ثماني سنوات من تعيينه بها كلف بإعطاء محاضرات في التاريخ والفلسفة الحديثة في جامعة السوربون، انظر: جورج طرابيشي، ص ١٩٦: ١٩٧ بتصرف.

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة النظرية ص١٥ بتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق ص١٧– ١٨ بتصرف يسير.

(٣) سارطون " جورج سارطون ": تاريخ العلم – العلم القديم في العصر الذهبي لليونان – القرن الرابع، ترجمة: توفيق الطويل، وعبد الحميد لطفي، وأحمد فؤاد الأهواني، وعبد اللطيف أحمد علي، وعبد الحليم منتصر، وأبو العلا عفيفي، محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج٣، ص ٣٢٣، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر- عام ٢٠١٠ م ، والفكر الأخلاقي ص٩٩.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، ج ٦، ص ٣٦٥.

أساسيتين هما: فكرة الخير وفكرة الواجب، وجعلوا منهما محورًا لما عرضوه من تفسير للسلوك الخُلقي، وفكرة الخير هذه إلهية المصدر، فقد اعتبرت الأساطير الخير والشر منحتين إلهيتين، هذا وقد تطورت فكرة الخير والشر واصطبغت بالصبغة الإنسانية وجعلت القدرة على اختيار الأفعال هبة من الآلهة للبشر(١).

وبهذا فمن الممكن القول بأن أمة اليونان فرقت بين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة منذ البواكير الأولى لتاريخ اليونان، وكانت فكرة الخير إلهية المصدر وارتبطت به وظهر هذا الأمر واضحًا بداية من حديث" تليماخوس في الأوديسة عن عدم رضا الآلهة عن كل ما هو شر ورذيلة كما رأينا إلى حديث أرسطو في تعريف للفضيلة، مما يؤكد كون اليونان كغيرها من الأمم عرفت الخير وكل ما هو فاضل والطريق إليه وفرقت بينه وبين كل ما شر ورذيلة.

(١) د. عبد الوهاب جعفر: فلسفة الأخلاق والقيم، ص ٦٢ بتصرف، دار الوفاء للطباعة والنشر عام ٢٠١٣م، ود. عصمت نصار: الفكر الديني عند اليونان، ص ١٢٤ بتصرف، دار الهداية للطباعة والنشر، ط ٢ عام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

المبحث الثامن

أخلاق الأنبياء عليهم السلام

وصف الله تعالى أنبياءه ورسله بأجل الصفات وأعظمها، وأخبرنا القرآن الكريم بذلك في آياته البينات؛ ولأن الأنبياء هم قدوة أقوامهم الذين يجب الاقتداء بهم؛ لأنهم المصطفون الأخيار من الله تعالى قال تعالى: ﴿۞ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحا وَءَالَ إِبرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمرَٰنَ عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ٣٣**﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ فما كانوا عليه من الكمال البشري والفضائل الأخلاقية هو منحة من الله تعالى وفضل، فلم يكن باجتهاد منهم نحو الفضيلة مثل باقي البشر وانما جبلهم الله على هذه الصفات؛ لأنهم ليسوا مثلهم، ليكونوا القدوة الحقة لأقوامهم ولقد كانوا بالفعل، ووجب اتباعهم والاقتداء بهم لتجسد الفضائل الأخلاقية فيهم واكتمالها بخير البرية سيدنا محمد ﷺ قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [(١)]، فكان اللبنة التي اكتمل بها البناء، قال صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضْعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[(٢)]؛ ولهذا استحق وصف الله تعالى له ﷺ بالخلق الكريم، قال – تعالى–: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُق عَظِيم٤**﴾ [القلم: ٤]، وجعله قدوة للناس

---

(١) أخرجه البيهقي: " الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى عام٤٥٨هـ " في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعانيها التي من كان متخلقًا بها كان من أهل المروة التي هي شرط قبول الشهادة على طريق الاختصار، عن طريق أبي هريرة، ج ١٠، ص ١٩٢، إعداد د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعارف، بيروت – لبنان عام ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن طريق أبو هريرة، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم ٣٥٣٥، ص٨٦٨.

جميعًا؛ لأنه النبي الخاتم قال – تعالى-: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱليَومَ ٱلأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرا ٢١**﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ لذلك، حرص المتكلمون، والباحثون على الحديث عن صفاتهم، من باب الثناء عليهم إبرازًا للكمال البشري الذي تجسد فيهم بأمر من الله تعالى، وأجمعوا على اتصافهم بكل كمال بشري يشمل الصفات الخِلقية وهي السلامة من كل عيب ويشمل أيضًا الصفات الخُلُقية، واتفقوا على اتصافهم – عليهم السلام – بأربع صفات استجمعت كل معاني الخير، وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، فمن الضروري أن يكون النبي ذكيًا فطنًا ليتمكن من التعامل مع من أرسل إليهم على قدر تفاوت عقولهم، أيضًا ضروري أن يبلغ كل ما أوحاه الله إليه ولا يكتم منه شيئا أما فضيلتي الأمانة والصدق فسيتم إلقاء الضوء عليهما لاستجمعاهما كل الفضائل التي يستحق بها الأنبياء أن يكونوا قدوة لأقوامهم.

أولا: فضيلة الأمانة:

الأمانة هي: "حفظ الله تعالى بواطن الأنبياء وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى، وهي المسماة بالعصمة، فهم محفوظون ظاهرًا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر ولو نهي كراهة، وباطنًا من الحسد والكبر وغير ذلك من منهيات الباطن" (١).

(١) البيجوري " إبراهيم بن محمد البيجوري المتوفى عام ١٢٧٦هـ": تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص ١٤٢، الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، وانظر الدردير" أبو البركات أحمد بن محمد الدردير ": الخريدة البهية في العقيدة الإسلامية، إعداد أ. د/ محمد ربيع محمد جوهري أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة للبنين بالقاهرة وعميدها الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ط الأولى عام ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

الدليل على وجوب الأمانة للأنبياء – عليم السلام –:

– **الدليل النقلي:** وصف الله أنبياءه ورسله عليه السلام بخلق الأمانة، وجاء الوصف في كثير من آيات الذكر الحكيم منها قوله – تعالى – في حق نوح – عليه السلام –: ﴿**كَذَّبَت قَومُ نُوحٍ ٱلمُرسَلِينَ١٠٥ إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦**﴾ [الشعراء: ١٠٥–١٠٦]، وقال – تعالى – في حق هود – عليه السلام –: ﴿۞ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُم هُوداً قَالَ يَٰقَومِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرُهُۥ أَفَلَا تَتَّقُونَ٦٥ قَالَ ٱلمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَومِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَة وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَومِ لَيسَ بِي سَفَاهَة وَلَٰكِنِّي رَسُول مِّن رَّبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُم رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ٦٨**﴾ [الأعراف: ٦٥–٦٨]، وقال – تعالى –في حق صالح – عليه السلام –: ﴿**كَذَّبَت ثَمُودُ ٱلمُرسَلِينَ١٤١ إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٤٢ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِين ٥**﴾ [الشعراء: ١٤١–١٤٥]، وقال – تعالى – في حق لوط – عليه السلام – ﴿**كَذَّبَت قَومُ لُوطٍ ٱلمُرسَلِينَ١٦٠ إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٦١ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِين١٦٢**﴾ [الشعراء: ١٦٠–١٦٢]، وقوله – تعالى – في حق شعيب – عليه السلام – ﴿**كَذَّبَ أَصحَٰبُ لـَٔيكَةِ ٱلمُرسَلِينَ١٧٦ إِذ قَالَ لَهُم شُعَيبٌ أَلا تَتَّقُونَ١٧٧ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِين١٧٨**﴾ [الشعراء: ١٧٦– ١٧٨]، وقال – تعالى – في حق يوسف – عليه السلام –: ﴿**وَقَالَ ٱلمَلِكُ ٱئتُونِي بِهِۦٓ أَستَخلِصهُ لِنَفسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱليَومَ لَدَينَا مَكِينٌ أَمِين ٥٤**﴾ [يوسف: ٥٤]، وقوله – تعالى –: ﴿**قَالَ ٱجعَلنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلأَرضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم٥٥**﴾ [يوسف: ٥٥] وقال – تعالى – في حق موسى – عليه السلام –: ﴿**قَالَت إِحدَاهُمَا يَٰأَبَتِ ٱستَـٔجِرهُۖ إِنَّ خَيرَ مَنِ ٱستَـٔجَرتَ ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ ٢٦**﴾ [القصص: ٢٦، وقال – تعالى– في حق محمدﷺ: ﴿**إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِين١٠٧**﴾ [الشعراء: ١٠٧].

- الدليل العقلي على خُلق الأمانة:

"أنهم عليهم السلام لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين به؛ لأن الله – تعالى– أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، والله تعالى لا يأمر بمحرم أو مكروه أو خلاف الأولى" (١).

ثانيًا: فضيلة الصدق:

المراد بالصدق: هو مطابقة الخبر للواقع والمراد بالصدق في حقهم – عليهم السلام – مطابقة الخبر للواقع ولو بحسب اعتقادهم كما في قوله ﷺ: (كل ذلك لم يكن) لما قال له ذو اليدين: يا نبي الله! أنسيت أم قصرت؟ حين سلم من ركعتين(٢)، والصدق واجب في حق الأنبياء – عليهم السلام–، وقد وصف الله تعالى أنبياءه ورسله بفضيلة الصدق وتكرر هذا الوصف في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ولعل السبب هو أن فضيلة الصدق استجمعت كل معاني الخير(٣).

الدليل على وجوب فضيلة الصدق للأنبياء –عليهم السلام –:

- الدليل النقلي على فضيلة الصدق:

تحدث القرآن الكريم عن فضيلة الصدق، وجاء الوصف لأنبياء الله تعالى ورسله – عليهم السلام– في كثير من آياته منها قوله – تعالى– في حق إبراهيم – عليه السلام –: ﴿**وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا٤١**﴾ [مريم: ٤١]، وقال– تعالى – في حق اسماعيل – عليه السلام –: ﴿**وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ**

(١) البيجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص ١٤٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، برواية أبو هريرة، كتاب الأدب، باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل والقصير، رقم ٦٠٥١، ص، ١٥٣٣، تخريج وضبط وتنسيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

(٣) البيجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص ١٤٣ بتصرف.

إِسمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلوَعدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّا٥٤ وَكَانَ يَأمُرُ أَهلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرضِيّا٥٥﴾ [مريم: ٥٤-٥٥]، وقال – تعالى – في حق ادريس – عليه السلام –: ﴿**وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ إِدرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيّا٥٦ وَرَفَعنَٰهُ مَكَانا عَلِيّا٥٧**﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]، وتجسد الصدق في النبي محمد ﷺ حتى عُرف واشتهر بين قومه قبل بعثته ﷺ بالصادق الأمين، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقرَبِينَ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: "يا بني فهر يا بني عدي" لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: "فإني نذيرًا لكم بين يدي عذاب شديد" [(١)]، مما يدل على التربية الإلهية والاصطفاء الإلهي ليكون قدوة للناس كافة؛ لأنه النبي الخاتمﷺ.

– الدليل العقلي على اتصاف الأنبياء – عليهم السلام – بفضيلة الصدق:

"أنهم – عليهم السلام – لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره – تعالى– لتصديقه – تعالى – لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله – تعالى –:" صدق عبدي في كل ما يبلغ عني "وتصديق الكاذب كذب وهو محال، وإذا استحال عدم صدقهم وجب صدقهم وهو المطلوب" [(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري" أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى عام ٢٥٦هـ " في صحيحه، كتاب تفسير القرآن – سورة الشعراء–، باب قوله: " وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك، رقم ٤٧٧٠، ص ١٢٠١، تخريج وضبط وتنسيق: صدقي جميل العطار، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، دون تاريخ.

(٢) البيجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص ١٤٣.

ما اختص به خاتم الأنبياء والمرسلين:

اشترك النبي الخاتم – محمد ﷺ في الاصطفاء الإلهي واستجماع الفضائل مع باقي رسل الله وأنبيائه – عليهم السلام –، واختص عنهم بإتمام مكارم الأخلاق؛ لأنه النبي الخاتم الذي لا رسول بعده ولا نبي، فقد تمثلت الأخلاق ومكارمها في شخصه الكريم، وهذا ما جعل عائشة – رضي الله عنها تقول في وصف أخلاقهﷺ بقولها: "كان خلقه القرآن" (١)، فالنبي ﷺ تخلق بالفضائل وحث عليها، فمن حثه على الفضائل ﷺ قوله ﷺ: "ما من شيء أفضل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن خلقه، وأن الله يبغض الفاحش البذيء" (٢)، وقال ﷺ: "إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا، ألطفهم بأهله" (٣)، وقال ﷺ: "انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق" (٤)، هذا وما دعا إليه خاتم النبيين والمرسلين، مُحمد ﷺ دعا إليه الأنبياء – عليهم السلام – قبله بوحي من الله – تعالى– قال – تعالى –﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ**

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يُحسِّن خُلُقه، رقم ٣٠٨، ص، ١١١، تخريج وتعليق: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط ٢ عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) المنذري: " الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ ": الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين، كتاب الأدب وغيره، باب الترغيب في الخلق الحسن وفضله والترهيب من الخلق السيء وذمه، رقم ٣، ج ٣، ص ٢٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣ عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) المصدر السابق، كتاب الأدب وغيره، باب الترغيب في الخلق الحسن وفضله والترهيب من الخلق السيء وذمه، رقم ٥، ج ٣، ص ٢٧١، قال عنه الترمذي حسن.

(٤) الزبيدي " محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المتوفى عام ٣٧٩هـ ": اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج ٦، ص ٢٢٠، دار الفكر دون تاريخ.

يُوحَىٰ٤﴾ [النجم: ٣-٤]، فقد روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام: يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار، وإن كلمتي سبقت لمن حَسُن خُلُقه أن أظله تحت عرشي، وأن أدنيه من جواري" (١).

(١) المنذري: كتاب الأدب وغيره، باب الترغيب في الخلق الحسن وفضله والترهيب من الخلق السيء وذمه، رقم ١٩، ج ٣، ص ٢٧٣.

المبحث التاسع

الفضائل الأخلاقية مما اتفقت عليه

دعوات الأنبياء وانعكس على أخلاق الأمم

أشار عنوان هذا المبحث إلى ما هدف إليه البحث، يتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولا: الإسلام هو عقيدة الأنبياء جميعًا:

من المعلوم أن الدين الإسلامي هو الدين المرتضى عند الله – تعالى، قال– تعالى –: ﴿**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسلَٰمُ**.. ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال – تعالى: ﴿**وَمَن يَبتَغِ غَيرَ ٱلإِسلَٰمِ دِينا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي ٱلأَخِرَةِ مِنَ ٱلخَٰسِرِينَ٨٥**﴾ [آل عمران: ٨٥] ومعلوم أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي أنزله الله – تعالى– على نبيه وحبيبه محمد ﷺ، هذا وقد يتساءل البعض كيف يكون الإسلام هو الدين الخاتم وهو الدين الذي أنزله الله على محمد ﷺ وفي الوقت نفسه وصف كل أنبيائه ورسله الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم بأنهم مسلمين؟، الإجابة عن هذا التساؤل تكون بالقول بأن الإسلام الذي قرن الله تعالى به الأنبياء المقصود به هو العقيدة الإسلامية[١] من إيمان بالله تعالى وتوحيده بأنه الإله المستحق للعبادة وحده لا شريك له والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، فكل دين يحتوي على عقيدة وشريعة فكل الأنبياء دعوا إلى العقيدة

(١) العقيدة الإسلامية: " هي الصحيحة التي هي الاعتقاد بوجود إله واحد أحد يتصف بكل كمال يليق بذاته تعالى وينزه عن كل نقص لا يليق بذاته تعالى "، ويفهم من هذا التعريف أن العقيدة الصحيحة هي العقيدة الاسلامية وهي عقيدة الأنبياء جميعا فهي القاسم المشترك بين جميع الأنبياء من لدن آدم عليه– السلام– إلى محمد ﷺ انظر: المكناسي: " أحمد بن محمد المكناسي" أشرف المقاصد في شرح المقاصد، ج ١، ص ٨، المطبعة الخيرية عام ١٩٠٥م.

الإسلامية وهي توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له والإيمان باليوم الآخر كجزء أساسي من دعوتهم، أيضًا دعا كل رسول قومه إلى شرع ارتضاه الله – تعالى– لهم حسب الزمان والمكان، ومن ثم لم يكن الدين كامل لدى الأنبياء – عليهم السلام –؛ لأنه اشتمل على العقيدة التي ارتضاها الله من عباده وهي عبادته وحده لا شريك له إلى أن تقوم الساعة ولكن لم يشتمل على الشريعة التي ارتضاها لعباده إلى أن تقوم الساعة، الصالحة لكل زمان ومكان، وهي الشريعة الإسلامية، وبهذا لم يكتمل دينهم أي أن دينهم لم يجمع بين الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان إلى جانب العقيدة الحقة التي ارتضاها الله – تعالى – من عباده وأمر أنبياءه ورسله بالدعوة إليها، وكان اكتمال الدين بالدين الذي نزل على خاتم أنبيائه ورسله – عليهم السلام –، محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي جمع بين العقيدة المرتضاه التي اشترك فيها محمد – صلى الله عليه وسلم – مع باقي الأنبياء – عليهم السلام – وتميز بالشريعة الصالحة لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة قال تعالى: ﴿.. **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ٣**﴾ [المائدة: ٣]، أيضًا تميز بالكتاب الذي تعهد الله بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩**﴾ [الحجر: ٩]، فأنبياء الله تعالى– عليهم السلام– اتفقوا فيما هو ثابت لا يتغير وهو العقيدة الإسلامية، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم على سبيل الإجمال والتفصيل فمن المجمل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ..**﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى مخاطبًا محمدﷺ: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ٢٥**﴾ [الأنبياء: ٢٥]، أيضًا قوله تعالى: ﴿**وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ٤٥**﴾ [الزخرف: ٤٥] ومن المفصل قوله – تعالى – على لسان سيدنا ابراهيم – عليه السلام –: ﴿**وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ**

تَعلَمُونَ١٦﴾ [العنكبوت: ١٦]، وقال – تعالى – على لسان سيدنا نوح –عليه السلام – ﴿.. **ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ ٥٩﴾** [الأعراف: ٥٩] وقال – تعالى –: ﴿.. **يَٰقَومِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ٢٣﴾** [المؤمنون: ٢٣]، وقال– تعالى– على لسان سيدنا هود – عليه السلام –: ﴿.. **يَٰقَومِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ٦٥﴾** [الأعراف: ٦٥] وقال الله – تعالى– علي لسان سيدنا شعيب – عليه السلام –: ﴿۞ **وَإِلَىٰ مَدينَ أَخَاهُمۡ شُعَيبٗاۚ قَالَ يَٰقَومِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلمِكيَالَ وَٱلمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَاكُم بِخَيرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَومٖ مُّحِيطٖ٨٤﴾** [علينا هود: ٨٤]، إلى غير ذلك من الآيات التي أكدت هذا الأمر، ومما يؤكد أن الدعوة إلى التوحيد هي العقيدة الإسلامية وصف الله – تعالى– أنبيائه ورسله – عليهم السلام– بأنهم مسلمين قال – تعالى – على لسان سيدنا نوح –عليه السلام –: ﴿**فَإِن تَوَلَّيتُمۡ فَمَا سَأَلتُكُم مِّن أَجرٍۖ إِن أَجرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرتُ أَن أَكُونَ مِنَ ٱلمُسلِمِينَ** ﴾ [يونس: ٧٢] قال تعالى: ﴿ **فَإِلَّم يَستَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسلِمُونَ** ﴾ [هود: ١٤]، ووصف الله تعالى ملة إبراهيم –عليه السلام – بأنها الإسلام: ﴿..... **مِّلَّةَ أَبِيكُم إِبرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلمُسلِمِينَ مِن قَبلُ....** ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال – تعالى– واصفًا الأنبياء الذين أتوا من نسل إبراهيم –عليه السلام – بأنهم مسلمين: ﴿ **أَمۡ كُنتُم شُهَدَآءَ إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ ٱلمَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِنۢ بَعدِيۖ قَالُواْ نَعبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبرَٰهِـۧمَ وَإِسمَٰعِيلَ وَإِسحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحنُ لَهُۥ مُسلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال تعالى على لسان سينا يوسف – عليه السلام –: ﴿ ۞**رَبِّ قَدۡ ءَاتَيتَنِي مِنَ ٱلمُلكِ وَعَلَّمتَنِي مِن تَأوِيلِ ٱلأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسلِما وَأَلحِقنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠١، ٧٢]، وقال تعالى على لسان

سيدنا موسى –عليه السلام –: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ** ﴾ **[يونس:** ٨٤]، وقال – تعالى –على لسان سيدنا سليمان – عليه السلام –: ﴿.... **وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٤٢]، وعلى لسان سيدنا عيسى –عليه السلام – قال تعالى: ﴿۞ **فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢**﴾ [آل عمران: ٥٢]، وأمر نبي الإسلام سيدنا محمد – عليه أفضل الصلاة والسلام – أن يقول: قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٩١]، أي الذين دانوا بالإسلام قبله ﷺ، قال الطبري في تفسير هذه الآية: "وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفًا فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم" [(١)]– عليه السلام –.

ثانيًا: اتفاق الأنبياء في الدعوة إلى الفضائل والأعمال الصالحة:

كما اتفق الأنبياء والرسل في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة اتفقوا أيضًا في الدعوة إلى الفضائل الأخلاقية والأعمال الصالحة، وهذا ما أعلمنا به القرآن الكريم على لسان أنبيائه ورسله من دعوة أقوامهم إلى التقوى والعمل الصالح وفعل الخير[(٢)]، ومن هذه الآيات قوله تعالى على لسان سيدنا نوح –عليه السلام

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه: د. بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، ج٥، ص ٥٨٧، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط ١ عام ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.

(٢) التقوى: الخوف، تقول: تقي الله تقيا خافه، والعمل الصالح من صلح: والصلاح: ضد الفساد؛ صلح يَصلَحَ ويَصلُحُ صلاحا وصُلوحًا الخير: ضد الشر وجمعه خيور... قال تعالى: ﴿..وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ..﴾ [التوبة: ٨٨]، والخيرات جمع خيرة، وهي الفاضلة من كل شيء والخير بمعنى الأخلاق الحسنة..، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ٧٠﴾ [الرحمن: ٧٠] قال: المعنى أنهن خيرات الأخلاق راجع ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٤١، و، ج ٧، ص ٣٨٧، و، ج ٤، ص ٢٥٧ بتصرف.

-: ﴿إِنَّآ أَرسَلنَا نُوحًا إِلَىٰ قَومِهِ أَن أَنذِر قَومَكَ مِن قَبلِ أَن يَأتِيَهُم عَذَابٌ أَلِيم١ قَالَ يَٰقَومِ إِنِّي لَكُم نَذِير مُّبِينٌ٢ أَنِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣﴾ [نوح: ١-٣] "وقال – تعالى – على لسان سيدنا إبراهيم –عليه السلام –: ﴿وَإِبرَٰهِيمَ إِذ قَالَ لِقَومِهِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوه ذَٰلِكُم خَير لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ١٦﴾ [العنكبوت: ١٦]، وقال – تعالى– على لسان موسى – عليه السلام –: ﴿وَإِذ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئتِ ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ١٠قَومَ فِرعَونَۚ أَلَا يَتَّقُونَ١١﴾ [الشعراء١٠: ١١]﴾، وقوله – تعالى –: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلنَٰهُ مُبَارَك فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرحَمُونَ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال – تعالى – على لسان سيدنا عيسى – عليه السلام –: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلبَيِّنَٰتِ قَالَ قَد جِئتُكُم بِٱلحِكمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعضَ ٱلَّذِي تَختَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾ [الزخرف: ٦٣]، وقال – تعالى –على لسان سيدا هود –عليه السلام –: ﴿كَذَّبَت عَادٌ ٱلمُرسَلِينَ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِين١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٢٦﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٦]، وقال– تعالى –على لسان سيدنا صالح –عليه السلام –: ﴿كَذَّبَت ثَمُودُ ٱلمُرسَلِينَ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُم أَخُوهُم صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٤٢ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِين ١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٤٤ [الشعراء: ١٤١-١٤٤]، ومن الآيات التي تحث على العمل الصالح قوله تعالى على لسان سيدنا داود عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعمَلۡ سَٰبِغَٰت وَقَدِّر فِي ٱلسَّردِۖ وَٱعمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعمَلُونَ بَصِير١١﴾ [سبأ: ١١]، وكثيرا ما نجد في القرآن الكريم ربط الإيمان بالعمل الصالح مما يدل على أن دعوة الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له ليست هي القاسم المشترك بين أنبياء الله ورسله فقط وإنما الدعوة إلى العمل الصالح قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفسًا إِلَّا وُسعَهَآ أُوْلَٰئِكَ أَصحَٰبُ ٱلجَنَّةِۖ هُم فِيهَا خَٰلِدُونَ٤٢﴾ [الأعراف: ٤٢] وقال تعالى: ﴿لَيسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاح فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

ٱلۡمُحۡسِنِينَ٩٣﴾ [المائدة: ٩٣]، وجعل الله – تعالى الجنة لمن آمن وعمل صالحا قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرا١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤]" وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ٧٥﴾ [طه: ٧٥]، أيضًا جاءت الآيات التي تحث المؤمنين على فعل الخير قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨]، وبهذا، فقد تعددت الآيات التي تحث الناس على التقوى والعمل الصالح والخير وكما هو معلوم أن المراد من التقوى هو الخوف من الله والبعد عن كل ما لا يرضيه وفعل كل ما أمر به، وقد رأينا أمر الله بالعمل الصالح وفعل الخير، ومعلوم أن مطلق العمل الصالح والخير يشمل ضمنه الفضائل الأخلاقية من صدق وأمانة وتواضع وحلم وعدل وغيرها من الفضائل؛ ولهذا نجد، بالإضافة إلى أوامر الله المجملة بفعل الأعمال الصالحة والخير، نجد الأوامر المفصلة بالفضائل الأخلاقية من صدق وأمانة وعدل تواضع ووفاء بالعهد وغيرها من أمهات الفضائل، فمن الحث على الصدق نجد أمر الله تعالى للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ومن الأمر بالأمانة قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا.. ﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿۞.. فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ.. ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ

وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧]، ومن الأمر بفضيلة العدل وفي نفس الآية النهي عن ضدها من الرذائل – المنكر والبغي – قوله تعالى: ﴿۞ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠**﴾ [النحل: ٩٠]، وبين أنه – تعالى – يحب القائمين على العدل بقوله – تعالى –: ﴿.. **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩**﴾ [الحجرات: ٩]، ومن الأمر بالتواضع نجد وصفه تعالى لعباده قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣**﴾ [الفرقان: ٦٣]، ومن الوفاء بالعهد قوله تعالى: ﴿.. **وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤**﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢**﴾ [المعارج: ٣٢] وكما رأينا في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نجد الآيات التي تنهي عن أضداد هذه الفضائل من الرذائل المذمومة، فمن النهي عن الكذب نجد قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦**﴾ [النحل: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠**﴾ [النساء: ٥٠]، ومن النهي عن الخيانة قوله تعالى: ﴿۞ **إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨**﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧**﴾ [النساء: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٖ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨**﴾ [الأنفال: ٥٨]، ومن النهي عن الظلم قوله – تعالى –: ﴿**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢**﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وجعل الله – تعالى – الهلاك لمن سلك طريق الظلم قال تعالى: ﴿**وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩**﴾ [الكهف: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا**

ظَلَمُواْ وَجَآءَتهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلقَومَ ٱلمُجرِمِينَ١٣﴾ [يونس: ١٣]، ومما يدل على أن الأنبياء دعوا إلى الفضائل ومنها العدل ونهوا عن الرذائل والتي منها الظلم قوله – تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهلِكَ ٱلقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولا يَتلُواْ عَلَيهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهلِكِي ٱلقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩**﴾ [القصص: ٥٩]، ومن النهي عن الكبر قوله – تعالى –: ﴿**.. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُختَالٖ فَخُورٖ١٨**﴾ [لقمان: ١٨]، ونهيه – تعالى – عن نقض العهد قوله – تعالى –: ﴿**ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعدِ مِيثَٰقِهِۦ..** ﴾ [البقرة: ٢٧]، وجعل اللعنة على الناقضين لعهودهم قال– تعالى –: ﴿**فَبِمَا نَقضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ..** ﴾ [المائدة: ١٣].

مما سبق يتبين أن الثوابت بين الأنبياء – عليهم السلام – جميعًا هي الدعوة إلى العقيدة الحقة وهي عبادة الله وحده لا شريك له والدعوة إلى الفضائل الأخلاقية والأعمال الصالحة وبهذا فلم يقتصر دور الأنبياء –عليهم السلام – فقط في إقرار العقيدة والدعوة إلى وحدانية الله – تعالى –، وإنما أرسلهم الله – تعالى– لتوجيه الخلق وإرشادهم لما فيه الخير ويحقق لهم سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، يقول فضيلة الإمام الأكبر، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب: "وآيات القرآن الكريم قاطعة الدلالة على وحدة الرسالات السماوية، والتقائها جملة وتفصيلًا حول مبدأ التوحيد، وأن ما بينها من خلاف محصور في دائرة التشريع ومظاهر العبادة، أما العقائد وأصول الأخلاق فلم تختلف حولها رسالة عن رسالة، ولم يختلف فيها قول نبي عن نبي"(١)، وهذا ما فطن إليه بعض الباحثين، يقول الدكتور محمد غلاب: "ولكن الذي لا شك فيه هو أن الكتب السماوية المقدسة قد سبقت اليونان إلى تدوين الفضائل والرذائل والأمر باتباع الأولى، والنهي عن

(١) فضيلة الإمام الأكبر، شيخ الأزهر الشريف " الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ": المختار من مقومات الإسلام (العقيدة والأخلاق)، ص ٧٣، دون ذكر دار النشر، ط ١ عام ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م.

السقوط في هوة الثانية "[١]، وما دعا إليه الأنبياء وأكده القرآن الكريم رأيناه عند الأمم القديمة، فقد ظهر واضحًا في الفلسفات القديمة حيث وجدنا الحث على الفضائل من خير وحق وعدل مما يؤكد على الدور الذي قام به الأنبياء من إرشاد الأمم التي أرسلوا إليها، فقد رأينا هذا الأمر واضحًا في الفلسفة المصرية القديمة من ارتباط الأخلاق بالدين فكان التخلق بالأخلاق الحسنة في الدنيا هو السبيل للسعادة الأخروية الأبدية، فوجدنا "كتاب الموتى" أعد خصيصًا للحث على الفضائل ونبذ الرذائل ووجدنا نقوش الوصايا الأخلاقية على جدران القبور والمعابد، مما يدل على سير المصريين القدماء على دستور أخلاقي من الحث على الفضائل والأعمال الصالحة ونبذ الرذائل والتحذير من الشر، ووجدنا ارتباط هذا الأمر بالتدين، ولما كانت الفلسفة الدينية عند قدماء المصريين تحتوى على شذرات من أديان سماوية مرت على مصر تمثلت في الحديث عن الحياة بعد الموت والحساب والجزاء وارتباط التقوى بالأعمال الصالحة الذي ظهر في بعض الوصايا كما رأينا، فهذا وان دل على شيء، فإنما يدل على دور الأنبياء – عليهم السلام – وإرشادهم للأمة المصرية القديمة، ولما لا وقد أخبرنا القرآن الكريم بمرور الأنبياء عليها قال – تعالى – حكاية عن رجل من آل فرعون يعاتب قومه لعدم إيمانهم بسيدنا موسى – عليه السلام – فيذكرهم بدعوة سيدنا يوسف – عليه السلام – التي كانت من قبل: ﴿**وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ٣٤**﴾ [غافر: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ٢٨**﴾ [غافر:

(١) د. محمد غلاب: الأخلاق النظرية ص ٩.

٢٨]، ولما كان الحث على الفضائل والعمل بها لم نجده في الفلسفة المصرية القديمة فقط وإنما وجدناه في الفلسفات القديمة الأخرى، فقد وجدنا اشتراك جميع الفلسفات في ارتباط الفضائل بالدين وأنها هي سبيل السعادة الأبدية ومن ثم كان التأكيد عليها، ونبذ الرذائل، فضلًا عن ذلك، وجدنا في كل من هذه الفلسفات ما يشير إلى وجود بقايا لأديان سماوية سابقة قد مرت على هذه الأمم والفلسفات، مثل قصة الطوفان في الفلسفة البابلية، والوصايا الأخلاقية التي وجدت في الفلسفة الهندية واتفق منها مع التعاليم الإسلامية، أيضًا ما دعا إليه" زرادشت "في الفلسفة الفارسية جعل البعض يعتقد أنه نبي مرسل، وجعل بعض الباحثين[١] يقول: بأن ما دعا إليه" زرادشت "من الفضائل هي ما دعا إليه الإسلام، أيضًا ما وجد في الفلسفة الصينية القديمة من الدعوة إلى الفضائل الذي جعل المبشرين المسيحيين الذين اتصلوا بالصينيين يعتقدون أن رب الصينيين هو الرب المقدس الذي يوجد في الكتاب العبري، والأمر نفسه هو ما جعل أحد اليسوعيين إلى جمع النصوص الدينية الصينية لمحاولة إثبات أنها وحي من عند الله – تعالى –، هذا؛ ولأن الإغريق أمة من الأمم ولابد أن يرسل الله لهم أنبياء مصداقًا لقوله تعالى: ﴿.. **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِير٢٤**﴾ [فاطر: ٢٤] فعلى الرغم من فصلهم الأخلاق عن الدين، وجدنا بعض الباحثين – كالشهرستاني – حاولوا جاهدين اثبات التدين لسقراط وغيره من الفلاسفة واعترافهم بوجود إله وأنه وإن لم يوجد ما يدل على بقايا لأديان سماوية فقد تكون منذ زمن بعيد واندثرت معالمها فلم يبقى منها شيء ولعل هذا ما جعل الدكتور محمد غلاب يقول:" ليست الأخلاق من وضع الأهواء البشرية ولا من اختراع المنافع الفردية حتى تتأثر بالأزمنة والأمكنة والظروف المختلفة، وإنما هي قوانين عامة خالدة؛ ولذلك نرى الفضائل الجوهرية هي هي عند قدماء المصريين، وعند الهنود والفرس

(١) علي عبد الواحد وافي، راجع المبحث الخامس من البحث الذي بعنوان: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الفارسية القديمة.

والصينيين واليونان والرومان كما هي عند شعوب القرن العشرين في جميع بقاع الأرض "[١]، وبهذا فنستطيع أن نقول أن هذه الأمة أيضًا قد أرسل إليها أنبياء من الله – تعالى – لدعوتهم إلى عبادة الإله الحق وإرشادهم إلى مكارم الأخلاق الذي يضمن العمل بها سعادة الدارين الدنيا والآخرة تحقيقًا لقوله – تعالى–: ﴿.. **وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ٢٤**﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله – تعالى –: ﴿.. **مِنهُم مَّن قَصَصنَا عَلَيكَ وَمِنهُم مَّن لَّمْ نَقصُص عَلَيكَ**.. ﴾ [غافر: ٧٨]، فلم تخلوا أمة من الأمم من نبي كريم دعا قومه لعبادة الله وحده لا شريك له، ودعاهم إلى مكارم الأخلاق، وبصرهم للطريق القويم، أو من رجل صالح سار على نهج نبي قد ولى عصره ولكنه ترك من البينات ما ينير درب من جاء بعده، وقد مر الحديث عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان على دعوة موسى – عليه السلام – وذكر قومه بدعوة يوسف – عليه السلام – التي قد مر زمانها إلا أن آثارها ظلت باقية لزمن هذا الرجل بدليل حديثه عنها وتذكير قومه بها، هذا، وقد رأينا دائمًا اقتران الإيمان بعمل الخير والأعمال الصالحة.

(١) د. محمد غلاب: الأخلاق النظرية ص ١٩٩.

الخاتمـــة

بعد هذا العرض الموجز في الحديث عن الفضائل الأخلاقية فإني توصـــلت للنتائج التالية:

١- فطرية المعرفة بالفضائل الأخلاقية، وفطرية المعرفة بأن الخير هو الحق الذي يجب اتباعه وأنه ما يرضي الله – تعالى– وأن الشر ما يجب اجتنابه؛ لأنه يغضب الله – تعالى –.

٢- الفضائل الأخلاقية ثابتة لا تتغير، والمتغير هو السلوك الإنساني الذي لابد أن يسعى دائمًا للتحلي بها ليتوائم مع المعرفة الفطرية بها.

٣- اتفاق دعوات الأنبياء – عليهم السلام – جميعا على أمرين، الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، والدعوة إلى مكارم الأخلاق.

٤- ارتباط الفضائل الأخلاقية بالدين، فكثير من آيات الذكر الحكيم جاء اقتـــران الإيمان والتقوى بالأعمال الصالحة والبر والخير.

٥- يوجد اتفاق على الفضائل الأخلاقية في الفلسفات الدينية القديمة، فضلًا عـــن ارتباطها بالتدين مما يؤكد وحدة المصدر الذي قد يكون سماوي من أديـــان سابقة مرت على هذه الأمم إيمانًا بقوله تعالى: ﴿.. وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِير ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤].

٦- انعكست دعوات الأنبياء لأقوامهم عبر الأزمان، فقد بقيت شذرات من هذه الدعوات كانت هي العامل الرئيس في الاتفاق الذي وجد بين الفلسفات الدينية القديمة في فضائل الأخلاق.

٧- جاء الدين الإسلامي الخاتم ليتمم مكارم الأخلاق بالنبي الكريم، محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين.

وأخيرًا، فهذا عملي الذي لا أدعي به الكمال ولا أنني قاربته، فالكمال لله وحده، وأرجو من كل من يطلع على هذ العمل أن يلتمس لي العذر إن كنت قد قصرت، وأن يرشدني إلى الصواب إن كنت قد أخطأت، وأدعو ربي أن يلهمني الصواب وحسن الفهم وصحته بفضله – تعالى – وحوله وقوته، وأن يفتح علي فتوح العارفين اللهم آمين، وصل اللهم وسلم بارك على متمم مكارم الأخلاق، صاحب الخلق القويم والفضل العظيم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

فهرس المراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر الأخرى:

١- أبو زهرة (محمد بن أحمد مصطفى بن أحمد بن عبد الله أبو زهرة المتوفى عام ١٣٩٤هـ): مقارنات الأديان – الديانات القديمة –، ط دار الفكر العربي، عام ١٤٣٨هـ –٢٠١٧م.

٢- فضيلة الإمام الأكبر" الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ": المختار من مقومات الإسلام (العقيدة والأخلاق)، دون ذكر دار النشر، ط ١ عام ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م.

٣- أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير، ونقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد، مطبعة دارالكتب المصرية عام ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م.

٤- أجلوشيكوني، ود. منير سغبيني: أفلاطون والفضيلة، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط الأولى عام ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٥- أفستا" الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، ط ٢، عام ٢٠٠٨م، روافد الثقافة والفنون.

٦- أفلاطون: في الفضيلة (محاورة "مينون")، ترجمة وتقديم د. عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ٢٠٠١م.

٧- أولف جيجن: المشكلات الأخلاقية في الفلسفة اليونانية، ترجمة د. عزت قرني، دار النهضة العربية، القاهرة عام ١٩٧٤م.

٨- ابن الجوزي: "الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى عام ٥٩٧هـ": زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى الجديدة عام ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٩- ابن خلدون "عبد الرحمن بن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ": تاريخ إبن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحاذة، مراجعة د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت – لبنان عام ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠- ابن رشد "القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، المتوفى عام ٥٩٥ هـ": تفسير ما بعد الطبيعة، ط بيروت عام ١٩٣٨م.

١١- ابن كثير: "أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي عام ٧٧٤هـ": التفسير الكبير، ،دار ابن حزم، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٢- ابن مسكويه "أبو علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب المتوفى عام ٤٢١هـ": تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة والدة عباس باشا، القاهرة عام ١٣٢٣هـ – ١٩٠٥م.

١٣- ابن منظور: "جمال الدين أبو الفضل المتوفى عام ٧١١هـ" : لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ، بيروت– لبنان عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٤- الإيجي: (القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي المتوفي عام ٧٥٦هـ): شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٥- البخاري: "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى عام ٢٥٦هـ" : صحيح البخاري، تخريج وضبط: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان دون تاريخ.

١٦- برستد: "جيمس هنري برستد": (فجر الضمير)، ترجمة سليم حسن، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دون تاريخ.
١٧- بودها: الفلسفة الهندية، ترجمة "سانان شايا نوكول، ط عام ١٩٧٠ م، نشر الجامعة البوذية، بانكوك، تايلاند.
١٨- البيجوري" برهان الدين البيجوري توفى عام ٨٢٥هـ ": تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١٩- البيهقي:" الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي توفي عام ٤٥٨هـ ": السنن الكبرى، إعداد د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعارف، بيروت، لبنان عام ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٢٠- جامعة المدينة العالمية: الأديان والمذاهب.
٢١- الجرجاني" علي بن محمد الحسيني الشريف، المتوفى عام ٧٦٦هـ ": التعريفات، مكتبة لبنان – بيروت – لبنان عام ١٩٨٥م.
٢٢- جورج سارطون: تاريخ العلم – العلم القديم في العصر الذهبي لليونان – القرن الرابع، ترجمة: توفيق الطويل، وعبد الحميد لطفي، وأحمد فؤاد الأهواني، وعبد اللطيف أحمد علي، وعبد الحليم منتصر، وأبو العلا عفيفي، محمد عبد الهادي أبو ريدة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر، ٢٠١٠م.
٢٣- جورج طرابيش: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط ٣ عام ٢٠٠٦م.
٢٤- جوستاف لوبون: حياة الحقائق، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط الأولى عام ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٢٥- حمورابي: شريعة حمورابي، ترجمة محمود أمين، تقديم: الأب سهيل قاشا، ط ١، دار الوراق المحدودة، لندن عام ٢٠٠٧م.
٢٦- الدردير" أبو البركات أحمد بن محمد الدردير المتوفى عام ١٢٠٢هـ ": الخريدة البهية في العقيدة الإسلامية، إعداد أ. د. محمد ربيع محمد الجوهري الأستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة وعميدها الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ط الأولى عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٢٧- دينيس سورا، طبعة باريس عام ١٩٣٤م.
٢٨- د. رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته: إيران – العراق، دار نهضة الشرق دون تاريخ.
٢٩- الزبيدي:" العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المتوفى عام ١٢٠٥هـ ": اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط دار الفكر، دون تاريخ.
٣٠- سعد الدين التفتازاني: (الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله، المتوفى عام ٧٩٣هـ): شرح المقاصد، تأليف: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ومعه حاشيتا السالكوتي والحلبي على شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، ط عالم الكتب، دون تاريخ.
٣١- الشهرستاني" أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ ": الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ط الثالثة عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٣٢- الطبري: (أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، المتوفى عام ٣١٠ هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ود عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة دون تاريخ.

٣٣- الطبري: تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، دون تاريخ.
٣٤- عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، دون تاريخ.
٣٥- د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، ط ٣ عام ١٩٨٢م.
٣٦- د. عبد الوهاب جعفر: فلسفة الأخلاق والقيم، دار الوفاء للطباعة والنشر عام ٢٠١٣م.
٣٧- د. عصمت نصار: الفكر الديني عند اليونان، دار الهداية للطباعة والنشر، ط ٢ عام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٣٨- علاء حسن شرف وخلود حبيب كرم: الفكر السياسي الهندي في ضوء نصوص الفيدا، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، عام ٢٠١٨م.
٣٩- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة – مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٤٠- الإمام الغزالي" أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي المتوفى عام ٥٠٥هـ ": إحياء علوم الدين، ضبط نصه وخرج أحاديث: د. محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، ط الأولى عام ٢٠٠٤م.
٤١- الفارابي" أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ الفارابي، توفى عام ٣٣٩هـ ": الجمع بين رأي الحكيمين، ط المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان عام ١٩٦٠م.
٤٢- كريسيون: المشكلة الأخلاقية، ط الشعب.
٤٣- الكندي:" أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى عام ٢٥٩هـ "الرسائل الفلسفية، ط دار العرب، ط الثانية، دون تاريخ.

٤٤- كونفوشيوس: محاورات كونفوشيوس، نحقيق: ليوجون، ولين سونغ، وبوكيكون، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٠م.
٤٥- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط، لجنة التراث.
٤٦- د. محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي – دراسة مقارنة –، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط الأولى عام ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
٤٧- د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، القاهرة عام ١٩٣٨م.
٤٨– د. محمد غلاب: الفلسفة النظرية، المطبعة المصرية الأهلية، القاهرة.
٤٩- د. محمد غلاب: المعرفة لدى مفكري المسلمين، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٦م.
٥٠– محمد مرسي أبو الليل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، ط مؤسسة سجل العرب، القاهرة، عام ١٩٥٦م
٥١- محمد يوسف موسى مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي سي آي سي، دون تاريخ.
٥٢- مسلم" أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى عام ٢٦١هـ "صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٥٣- معجم الجيولوجيا، مجمع اللغة العربية، ط٢، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة عام ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.
٥٤- المكناسي:" أحمد بن محمد المكناسيالمتوفى عام ٩١٠هـ "أشرف المقاصد في شرح المقاصد المطبعة الخيرية عام ١٩٠٥م.
٥٥- المنذري:" الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ ": الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣ عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٥٦- منوسمرتي: (كتاب الهندوس المقدس)، عربه وشرحه وعلف عليه: إحسان حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ.
٥٧- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ط: الشعب، القاهرة – مصر عام ١٩٦٥م.
٥٨- أ.د نجاح الغنيمي: الفكر الأخلاقي في ضوء الإسلام دون ذكر درا النشر، ودون تاريخ النشر.
٥٩- نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: طاهر عبد الحكيم، ط: ١، دار الفكر للدراسات والنشر، الفاهرة عام ١٩٩٦م.
٦٠- .د هاري ساكز: عظمة بابل" موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة "، ترجمة وتعليق أ.د عامر سليمان، ط ١ لندن عام ١٩٦٢م.
٦١- هوميروس: الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، النشيد الخامس، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة – مصر.
٦٢- هوميروس: الأوديسة، ترجمة: دريني خشبة، دار التنوير، بيروت، القاهرة – تونس.
٦٣- ول ديورانت" وليم جيمس ديورانت المتوفى عام ١٩٨١م "": قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، بيروت – تونس دون تاريخ، و، ط مؤسسة سجل العرب، القاهرة، عام ١٩٥٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
	ملخص البحث
١	المقدمة
٢	التمهيد
٣	المبحث الأول: فطرية الفضائل الأخلاقية
٤	المبحث الثاني: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة المصرية القديمة
٥	المبحث الثالث: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة البابلية القديمة
٦	المبحث الرابع: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الهندية القديمة
٧	المبحث الخامس: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الفارسية القديمة
٨	المبحث السادس: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة الصينية القديمة
٩	المبحث السابع: الفضائل الأخلاقية في الفلسفة اليونانية القديمة
١٠	المبحث الثامن: أخلاق الأنبياء – عليهم السلام–
١١	المبحث التاسع: الفضائل الأخلاقية مما اتفقت عليه دعوات الأنبياء وانعكس على أخلاق الأمم
١٢	الخاتمة
١٣	فهرس المراجع
١٤	فهرس الموضوعات